

ابراهيم المصري

راسين وشكسبير ... بين الكمال والقوة

بقلم ابراهيم المصري

* * *

يقول المؤرخ والناقد الايطالي « جوليلمو فيريرو » ان النزعة السكسونية والجرمانية في الادب والفن هي نزعة ترمي الى توكيد القوة اما النزعة اللاتينية فترمي الى توكيد وتغليب الكمال .

وهذا ما احسست به تمام الاحساس وانا اطالع للمرة الثالثة مسرحية « فيدر » للشاعر الفرنسي العظيم راسين .

وقصة فيدر هي قصة الحب المحرم في افجع الوانه . قصة امرأة تهيم حبا بابن زوجها . فيستشعر هو هذا الحب ويقابلهابالصد والاعراض والكبرياء القاسية وعدم الاكتراث . فتثور ثائرة المرأة ، وتشتعل فيها انوثتها المحقرة المهينة . فتتوزع بين واجب الزوجية وسورة الحواس . فيزيدها هذا التوزع اشتعالا ، ويزيد غرائزها تأججا ، فلا تستطيع الا ان تصارح ابن زوجها بما يكنه له فؤادها المعذب من حب . فيستنكر منها الشاب هذه العاطفة ، وينحي عليها باللائمة بوصفها زوج ابيه . ولكنها تهدر كرامتها في تصرف طائش مفتون . فتجثو عند قدمي الشاب مستعطفة متوسلة . فتهوله جسارتها واستهانتها بواجبها الزوجي . فيهم بالفرار منها . فتقنط وتهيب به ان يسرع فيقتلها انقاذا لها مما تعانيه . فيحجم . فتمتشق هي حسامه تريد اغماده في صدرها .

بيد ان عاطفتها المضطرمة نفسها ، تشل يدها ، وتلهب فيها على النقيض غريزة البقاء ، وتحفزها على التشبث بكيانها ، والذود العنيد عن المتعة التي تنشدها في حبها ، شعورا منها بان الحب الذي يستعر في صدرها هو اقوى من الموت الذي تصبو اليه مع ذلك وتدعوه . وهكذا تأبى الا ان تعيش كي تضاعف قوة غرامها ، وقوة التذاذها بعذاب هذا الغرام ، وقوة ارادتها في ان تمتلك ذلك الحبيب المترفع القاسي ، وتخضعه لسلطانها ان طوعا وان كرها .

وبينما هي تكافح وتناضل ما استطاعت للفوز بالشاب ، تعلم بغتة انه يهوى سواها ، ويؤثر عليها مفاتن امرأة دونها جمالا وعزة ومكانة . فيتوه عقل فيدر ، ويتحول قلبها النائح المستصرخ المكلوم الى اتون متقد من الانفعالات العنيفة المتضاربة ، بل الى بركان ثائر يقذف ما فيه من حمم على كل ما يحيط به من اشخاص واشياء .

ولم أر في اروع قصص الادب العالمي صورة مخلوق جمع من العواطف ما احتشد في صدر فيدر . فالارتياع من خيانة الزوج ، واستفظاع الحب المحرم ، والتلهف في الوقت نفسه عليه ، ومرارة الاحساس بالوحدة والنبذ والذل ، وضرورة التهافت والتوسل والتضرع ، وسطوة الرغبة الحسية العمياء ، نار الغيرة المشتعلة الآكلة ، وارادة الانتقام والتغلب والتشفي ، كل هذه العوامل والاحساسات تعصف بالمرأة عصفا مدويا . فتعود وكأنها انسان تجرب عليه الحياة عناصرها كي تجعل منه هو نفسه عنصرا جامحا يدور ويلتف حول ذاته ، وينشر في لوثة غاشمة شر ضروب الخراب والدمار .

وابدع ما في فن الشاعر العظيم راسين هو انه يتدرج بتلك العوامل في شخصية بطلته من اقلها حدة ، الى اوسطها انفعالا ، الى اعلاها واشدها عنفا ، كي يعود بها الى اليقظة الذاهلة والندم الهامد . فتبدو لنا تلك الشخصية وكأنما هي تنمو امام عيوننا ، وتتضخم شيئا فشيئا ، كعاصفة تبدأ سحبا ملبدة ، ثم تنطلق رعودا قاصفة ، فأمطارا غزيرة ساحقة ، فجليدا يتكسر ويتحلل ، وترجع بعده الحياة الى سابق سكونها وعدم احتفالها .

ولو ان شكسبير كان قد تناول هذا الموضوع لملأه بالاستعارات الهجامة الخارقة ، والتأملات الفلسفية البعيدة الغور ، والصور والخيالات والرؤى المتلاحقة المتدافعة ، والتي يخيل الى القارىء انها وان كانت زاخرة الاعماق بالحقائق الابدية الا انها تنطلق قبل كل شيء من

مسرح خيال الشاعر لا من الحياة اليومية الواقعة المباشرة .

ففن شكسبير هو فن القوة كما يسميه الناقد الايطالي فيريرو . فن يتحكم فيه خيال الفنان ، وينبع من تصوره المحتدم ، وعاطفته المشبوبة ، وفطرته الجائشة . فتختلط الوانه ، وتهدد موسيقاه ، في غير ما اكتراث لمنطق او عناية بحساب .

فن قوامه الجموح في تصوير ابطاله ، ومراكمة الاستعارات الشعرية على انفعالاتهم واعمالهم ، واغراقهم وهم يتحركون ويعملون ، في سيل من الخواطر والتأملات الخلقية والفلسفية ، التي تغيب حقيقتهم الظاهرة في الحقيقة الابدية الباطنة وفي غمرة التخيل الشعري والتأمل الفكري التي اجتاحت الشاعر ساعة الخلق والابداع .

فالبطل من ابطال شكسبير يعمل في الواقع وهو يسبح في الخيال ، اي ان حياته العملية لا تصدر عن الواقع اليومي كما اسلفنا ، بل عن الواقع العميق متفجرا من الخيال الشعري ومغمورا به ، ومشوشا باندفاقه ، وتائها فيه .

ولا ريب ان في هذا التفجر الخيالي عند شكسبير روعة خالبة . ولكن فيه الكثير ايضا من المغالاة والشطط .

اما الخيال عند راسين فمضبوط ومكبوح ، وتصوراته واستعاراته الشعرية لا تحمل ذلك الغلو المفرط ، ولا تحول بين ابطاله وبين اتصالهم المباشر بالحياة . فهم اقرب الى الواقع اليومي الذي نحسه ماثلا امامنا على الفور من ابطال شكسبير . هم اوضح احساسا ، واجلى عاطفة ، وابصر بدخيلة نفوسهم من ابطال شكسبير . بل هم يحللون انفعالاتهم ، وينفذون الى اعماقها ، ويحصون كل خلجة من خلجات قلوبهم ، وكل لهفة من لهفات حواسهم ، في دقة مشرقة ، وتسلسل منسق ، ونظام محكم عجيب .

ففن راسين هو فن ارادة الكمال في الشكل والجوهر . فن متزن ، يشيع فيه التناسب والمنطق والقياس وتلاؤم الالوان المتمايزة وانسجامها وسطوعها .

وهذه الفضائل لم تنضج في اعماله ، الا لانه تأثر بالفن الاغريقي ولا سيما بمسرحيات سوفوكليس . فاستطاع ان يجمع الى خيال الشاعر ، تيقظ الناقد وثباته ونظرته الواعية ، مما اضفى على فنه مزيجا متعادلا من العاطفة والعقل ، تبدو معه شخصيات ابطاله وكأنها تعيش معنا ، ولا تفيض علينا من خيال الشاعر الا بما تسمح به المواقف التي تتخبط فيها تلك الشخصيات لا اكثر ولا اقل .

فكمية الشعر عند راسين لا تربي على الحادثة نفسها ولا تزيد عما يمكن ان يعتمل في وجدان البطل وهو في نشوة الفرح او في حمى الامل والالم والصراع . اما كمية الشعر عند شكسبير فتجاوز الاحداث والمواقف ، وتخضع الخيال الشاعر المنطلق من عبقرية جارفة لا تحفل بالتناسب والقياس ولا تهتم بجمال الاشكال والاوضاع ما دام جوهر الشخصية الانسانية صادقا وسليما .

فشكسبير بعيد عن الحياة المباشرة ولكن الحياة العميقة تنمو فيه . وراسين يحاول ان يوفق بين مظهر الحياة المباشرة وجوهر الحياة العميق .

الاول عماده الغريزة والمخيلة وان طغت قواهما على العقل ، والثاني ينزع الى السيطرة على الغريزة والمخيلة مهتديا بحكم العقل .

فشكسبير قد يبعث الخوف في نفس قارئه ، اما راسين فيبعث الاطمئنان . والخوف من شكسبير يرجع الى انه الطبيعة الثائرة المكتسحة ، اما الاطمئنان الى راسين فيرجع الى انه انسان متحضر ، يريد ان ينفذ الى لب تلك الطبيعة الثائرة بخياله وان يسودها ايضا بعقله ، لا ان يشربها نفسه ويندمج فيها ويؤديها عاصفة صاخبة كما هي .

ونحن لا ننزع الى المفاضلة بين الشاعرين . فالفن غير العلم ، وهو لا يقبل القواعد الثابتة . وهل يمكن ان يكون للعواطف الصائلة في مختلف قلوب الناس قواعد وحدودا .

وهل انا ارى العالم كما تراه انت، وهل احس الحب والبطولة والالم والفرح كما تحسها انت . بل هل انا افهم الخير والشر كما تفهمهما انت ؟ . .

ما الفن الا رؤيا مستقلة تنبع من الفرد ومن خصائص بيئته وعنصره . وبقدر ما في الدنيا من مخلوقات سابحة على سطح الحياة ، بقدر ما فيها من الوان الفن والجمال .

والفنان العظيم هو الذي يستطيع ان يمنحنا صورة جديدة للدنيا ، هو الذي يمكنه ان يراها بغير العيون التي نراها نحن بها . وكلما كان احساسه عميقا ونظرته نافذة، اماط لنا اللثام عن مباهج ومناعم لم نفطن اليها لفرط تعلقنا بظواهر الاشياء وانشغالنا عن النظر الى بواطنها .

ففن راسين هو رجع صدى مزاجه ، وهو أثر من آثار عنصره اللاتيني . والشعوب اللاتينية بوجه عام تنشد في الفن الكمال ، اي صدق التعبير وعمقه مقترنين بروعة الشكل ممثلا كما اسلفنا في الوضوح والاتزان وتناسب الاوضاع وتماسكها المنطقي ، وتتوسل الى ذلك باخضاع العاطفة لحكم العقل .

فالفن اللاتيني يتصل بالعلم ، والفنان اللاتيني يمت الى العالم بأوثق صلة . وكما يرى العالم ان للطبيعة نظما وقوانين عليه ان يفهمها ليسيطر عليها وينفع الغير بها ، كذلك الفنان اللاتيني يحاول ان يسيطر على الطبيعة بعقله ليفهمها وينفع بها الانسان في اكتناه اسرار نفسه ونفوس الاخرين ، وضبط انفعالاتها ومشتهياتها ونزواتها، والاتجاه بها في طريق سليم يختطه لها العقل .

فقيد الشعر الاخطل الصغير

مات فـي الارز عبقري المشاعر ... فاذرف الدمع كالسيول الحوادر
وانعه للسماء للمـلأ الاعلى ، لنور الضحى لكـل الزواهـر
للحساسين فـي ربى الارز تزقـو ... لهـى الشام للشوادي الشواعـر
للرياض الغناء للغابـة الشجراء ... للنهـر للخميـل الزاهـر
للقياثيـر للكـؤوس عليهـا ... خمرة الوحي مـن كروم العباقر
خمرة الوحي كـم سقاها نفوسا ... سادرات لـدى الوجود حوائر
وتتغنى بأمـة العرب حتـى ... شعره ارقص النهـى والمنابر
وهداها الـى طريـق سـوي ... فمضت تنشد الغوالي الذخائر
واثـار الحسان شـدو شجي ... رددته مـن الحسان ، الحناجر
ما لك اليوم قد سكت عن التغريد وأخترت ضجعـة فـي الحفائـر
من يعزي الرياض صوحها الحـزن وحالت الـى وجـوم المقابر
والنجوم التـي رعيت طويـلا ... لفها البث في ظـلام الدياجر
صرعـة هـزت الشام ولبنا ... ن وناحت مـع الحجاز الجزائر
وعلـى النيـل لوعـة وشجون ... وعلـى دجلـة قلوب سواعـر
وفلسطين فـي نشيـج ممض ... شلها الحزن والجدود العواثر
نـم هنيئا فلـن تضيع بـلاد ... قد عقدنا علـى فداها الخناصر
لـن تضيع الحقوق فـي غضبة الشعب ولن تكهم السيوف البواتـر
أمة العرب لن تزول علـى الدهر وفـي القوم يقظة فـي الضمائـر
فابعث الشعر فـي غناها شرودا ... وأثـره عواصفـا وقنابـر
كرمى عين الفقيد مـن نظم الشعر عقـودا لجيدهـا ، والجواهـر

سأغنـي امجادهـا كـل يـوم ... بقصيد فـي كـل نـاد وسامـر
واوالي الجهاد حتـى اراهـا ... حـرة النفس لا تلين لجائـر

لاباز – بوليفيا

جورج الكعدي

اما الفنان السكسوني او الجرماني فهو في الغالب لا يحفل بأن يسود الطبيعة ، بل يطمح الى الانطواء فيهـا والفناء في اشكالها ، اذ الفن في عرفه تمجيـد لقوى الحياة قبل ان يكون دراسة عقلية لتلك القوى . وكـلا الفنين عظيم، وكلاهما رائعوجميل . وانمن يؤثر احدهما على آخر ، او ينتصر لهذا على ذاك ، ينكر على المـزاج البشري مميزاته ، ويثير معارك جدلية لا طائل تحتها .

بيد اني اذهب في تقديري لمسرحيـة « فيـدر » مذهبا خاصا . فأقول انها ملتقى النقيضـين ومجمـع النزعتين : القـوة والكمـال .

فاندماج راسين اندماجا تاما في العواطف الجامحة التي اراد ان يصورها ، وتوفر في المسرحية . وهذه هي روح القـوة .

ومنطق الاسلوب واتزانه ووضوحه وتحليقه فـوق العواطف صافيا ساطعا مسيطرا ، متوفر ايضا فيهـا . وهذه هي روح الكمال .

فمسرحية فيدر معجزة فنية ، وهي آية مـن آيات الادب الفرنسي الكلاسيكي .

القاهرة

ابراهيم المصري

أندلسيــات :

المعتمــد وابن عمــار

بقلم الدكتور فؤاد جبور حــداد

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

كيف تتحول الصداقة الــى عداوة والمحبة الى كراهية والمودة الى حقد ، كيف تتغير العذوبة في الفم الى مرارة كالعلقم ويغـدو التفاني رغبة جامحة الى التعذيب والقتل . لعل هذا هو سر من اسرار القلب الانساني وان كنت لا استطيع له تفسيرا الا انني ساروي قصة تاريخية جرت فيها كل هذه الامور ولعلها من اروع القصص التاريخية في الادب العربي ، قصة حب المعتمد لرجل بدات باتخاذه اياه اخا وصديقا ونديما ووزيرا ثم انتهت بأن حمل المعتمد بلطة هشم بها راسه تهشيما .

أحب المعتمد ابن عمار كما يحب الشاعر الملك او كما لم يحب المعتمد رجلا آخر فـي حياته مثله . تعرف عليه عندما كان المعتمد واليا من قبل والده المعتضد على مدينة شلب Silves وهي مدينة فـي جنوب البرتغال وكان المعتمد آنذاك ولي العهد لمملكة اشبيلية ولـم يبلغ الثلاثين من عمره بعد . اما ابن عمار فقد كان شابا بسيطا من سكان (شلب) يصفه ابن بسام فيقول « انه امترى احلاف الحرمان وقاسى شدائد الزمان وبات بين الدكة والدكان واستجلس دهليز فلان وابي فلان » وروى ابـن بسام ايضا في مكان آخر كيف تصدى ابن عمار بالمدح الى احد اعيان (شلب) فأجازه بمخلاة شعير وقال لـه « خذ ما حضر وانت احق من عذر » . وعندمـا تصدى ابن عمار لمدح والي مدينته وهو المعتمد عرف الاخير ان ذلك الشعر كان من شاعر مفطور لـه مستقبل عظيم ان تعهده بعنايته وعطفه . فقربه اليه وكانا فـي عمر واحدة تقريبا فتوثقت بينهما اواصر الود واصبح له فيما بعـد صديقا حميما ونديما مفضلا لا يصبر على فراقه . وكانت براعة ابن عمار في النظم هي احب صفاته لاميره الشاعر وبقيا صديقين حميمين في شلب مدة ثلاث سنوات الـى ان توفي المعتضد سنـة ١٠٩٦ م وذهب المعتمد الـى اشبيلية لتولي زمام البلاد وكان اول ما عمل المعتمد هو تعيين صديقه ابي بكر محمد بن ابي عمار واليا علـى مدينة شلب . وما ان يستقر الاخير في منصبه الجديد حتى تصله قصيدة من المعتمد تصور حياتهما السابقـة في تلك المدينة البرتغالية الجميلة :

الا حي اوطاني بشلب ابا بكـر   وسلهن هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على قصر (الشراجيب) من فتى   له ابدا شوق الــى ذلك القصر
منازل آســاد وبيـض نواعــم   فناهيك من غيل وناهيك من خدر
فكم ليلة قــد بت انعم جنحها   بمخصبة الارداف مجدبـة الخصر
وبيض وسمــر فاعلات بمهجتـي   فعال الصفاح البيض والاسل السمر
وليل بسد النهر ليـــلا قطعتـه   بذات سوار مثل منعطف البـدر
نضت بردها عن غصن بان منعـم   نضير كما انشق الكمام عن الزهر

ولم يصبر المعتمد على فراق صديقه ابن عمار فما لبث ان استدعاه الى اشبيلية واسند اليه وزارته واصبح ابن عمار الرجل الثاني في مملكة اشبيلية لا يرفض لـه المعتمد طلبا ولا يمنعه عن شيء يريده . وتترك لنا كتب الادب لمحات لطيفة تصور مجالس هذين الرجلين وحياتهما في اشبيلية من ذلك ان المعتمد ركب في يوم من ايـام الجمعة قاصدا الجامع للصلاة والوزير ابوبكر بن عمـار يسايره . فسمع اذان المؤذن فقال المعتمد :

هذا المؤذن قــد بـدا بأذانه

فقال ابن عمار :

يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمـد :

طوبى لـه مـن شاهد بحقيقة

فقال ابن عمار :

ان كان عقـد ضميره كلسانه

وادخلت على المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه :

قـد زارنـا النرجس الذكـي   وآن مــن يومنـا العشـي
وعندنــا مجلـس انيــق   وقــد ظمئنـا وفيـه ري
ولـي خليـل غـدا سميـي   يــا ليتـه ساعـد السمـي

فأجابه ابن عمار :

لبيـك لبيـك مـن منـاد   لـه النـدى الرحـب والندي
هـا انــا بالبـاب عبد قن   قبلتـه وجهــك السنـي
شرفـه والــداه باسـم   شرفتـه انــت والنبـي

وهناك قصص للمعتمد وابـن عمار تذكرنا بقصص هارون الرشـيد مع جعفر ومـن الطريـف ان علاقـة هارون مع جعفر كـانت قريبة الشبه في مجراهـا ونهايتها من صداقة المعتمد وابن عمار . من ذلك انه مـر المعتمد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندر فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال : مـن هذا ؟ فقال ابن عباد : انسان يرغب ان تقد لـه هذه الفتيلة . فقال : والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت مـا فتحته . فقال : فأنا ابـن عبـاد فقال : مصفوع الف صفعة . فضحك المعتمد حتى سقط على الارض وقـال لوزيره امض بنا قبل ان يتعدى الصفع من القول الـى الفعل . ولما كان من غد تلك الليلة وجه لـه الف درهم وقال لموصلها قل له هذه حـق الالف صفعة التي كانت

البارحة .

وتمضي حوالي عشر سنوات على هذه الحالة وابن عمار يعيش عيشة الملوك ويتقلب فيها على فراش العز والنعيم وكان اليد اليمنى للمعتمد في كل شؤونه لا سيما في السفارات الى الخارج والتفاوض مع ملوك الاسبان وملوك العرب . وكان ابن عمار يقوم بكل هذه المهام خير قيام مما جعل الفونسو السادس ملك قشتالة يقول عبارة من عباراته العديدة المشهورة « ان ابن عمار هو رجل الجزيرة » .

وفي هذه الفترة ايضا انتج ابن عمار اروع شعره فقد كان شاعرا مجيدا يقف في صف واحد مع اعظم شعراء الاندلس ان لم يكن في مقدمتهم وكان البلاط الاشبيلي يعج بهم في ذلك الحين . ولكن في تلك الفترة بالذات حدثت حادثة مهمة جدا وان لم تستلفت الانظار ولم يسجلها المؤرخون في كتاباتهم ولعلها الحادثة الاصلية التي كانت كل الاحداث الاخرى التي جرت بعدها صدى وترجيعا وتطورا طبيعيا لها تلك هي ان « اعتماد » الرميكية زوجة المعتمد اصبحت تغار من ابن عمار وتنظر بعين السخط الى حب المعتمد له وعطفه عليه . واخذت اعتماد تنقل الى المعتمد شكاواها من ابن عمار ولا شك انها كانت تخترع ان لم تجد ما تبالغ في وصفه ، ويستدعي المعتمد في كل مرة ابن عمار فيدافع الاخير عن نفسه ويقدم هو شكاواه منها فتدافع عن نفسها ويفترق الخصمان وهما اشد عداوة من قبل ثم تعود القصة من جديد وتزداد العداوة عن ما كانت عليه وهكذا الى ان وجد المعتمد مخرجا من الازمة وحلا للموقف فقرر ارسال ابن عمار الى شرق الاندلس ليفتح له مدينة « مرسية » اذ كان المعتمد دائما يتشوق الى ضمها لملكته .

ويذهب ابن عمار على رأس جيش كبير ويفتح مرسية باسم المعتمد وذلك سنة ١٠٧٨م ويستقر له الامر هناك ويبقى واليا عليها كما كان سابقا في مدينة شلب ولكن المعتمد لا يلبث ان يحن الى صديقه القديم ويشتاق الى مجلسه ويحتاجه في ادارة المملكة ولذلك يطلب منه الرجوع الى اشبيلية وهنا يرفض ابن عمار ، يرفض ان يرجع الى الحالة التي كان عليها من قبل ولعله تصور نفسه وقد عاد الى دسائس اعتماد والى مواقف المهانة التي كان يقفها مع اعتماد امام المعتمد وهو يبرىء نفسه من اتهاماتها ولعله ايضا تذكر كيف كانت تحض اولادها لا سيما « الرشيد » على ان يتطاولوا على ابن عمار وان يهينوه علنا كلما سنحت لهم الفرصة بسبب وبدون سبب فعز عليه الرجوع ورأى انه لو استقل بنفسه في تلك المدينة البعيدة فانه لن يقلل من ملك المعتمد فهو الذي افتتحها له على اي حال والمعتمد في غنى عنها . ولعل ابن عمار لم ير في استقلاله عن ملك ابن عباد خيانة او غدرا بسيده وولي نعمته وانما راى فيه حلا نهائيا لمشكلته . اما المعتمد فقد رأى فيه وقاحة وخيانة وغدرا فاضطرم غيظا وقامت الوشاية والسعاية لتزيد من اوار ذلك الغيظ وتساعد على اشتعاله . ولم يحسن ابن عمار حكم مرسية بعد استقلاله فيها والمهم ان ابن عمار لم ينجح في مغامرته اذ اوعز المعتمد الى قائد الجيش « ابن رشيق » ان يتولى الامر بنفسه وفي ذات يوم غادر ابن عمار مرسية لتفقد بعض الحصون الخارجية فوثب ابن رشيق واستولى على المدينة واغلق ابوابها في وجه ابن عمار . وسار ابن عمار يضرب في الارض على غير هدى وهو في حيرة من امره . وبدأ بذلك حياة التشرد فالتجأ في اول الامر الى سرقسطة ثم ذهب الى ابن المبارك في حصن « شقورة » وكانت قصة ابن عمار مع المعتمد قد انتشرت وشاعت في ذلك الحين واصبحت في جميع الاندلس حديث العامة والخاصة . فاراد حاكم ذلك الحصن ان ينال حظوة في عين المعتمد فالقى القبض على ضيفه وقيده بالحديد وارسله الى المعتمد في اشبيلية وهكذا يدخلها موكب ابن عمار لآخر مرة في حياته ويتقاطر آلاف الناس لمشاهدته وما اشد الفرق بين الامس واليوم فقد كانت اشبيلية تهتز عندما يدخلها ابن عمار او يخرج منها وكانت مواكبه تتألق تألقا اشبه بالاعراس الصاخبة واليوم يدخلها اسيرا ذليلا منكس الراس كسير القلب والعين . وينظر الناس اليه مبهوتين وكأن على رؤوسهم الطير ويتساءلون في قلوبهم كيف سيقتله المعتمد وما هي المنية التي سيختارها له .

ويضعه المعتمد في السجن وكان يطلب احضاره اليه كل صباح فيقف ابن عمار امامه في حالة زرية والقيد في رجليه ويديه ويأخذ المعتمد في تأنيبه وتقريعه ولومه فيستعطف ابن عمار ويسترحم ويتضرع ويطلب الرحمة والغفران . وكان ابن عمار ينظم ارق الشعر من سجنه ويرسله الى المعتمد الى ان اخذ قلب المعتمد يرق وبدأ يفكر في اطلاق سراحه . ومن قصائده :

سجاياك، ان عافيت، اندى وأسجح	وعذرك، ان عاقبت، أجلى واوضح
وان كان بين الخطتين مزية	فانت من الادنى الى الله أجنح
نعم لي ذنب غير ان لحلمه	صفات يزل الذنب عنها فيسفح
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة	يكران في ليل الخطايا فيصبح
أقلني بما بيني وبينك من رضى	له نحو روح الله باب مفتح
وعف على آثار جرم جنيته	بهبة رحمى منك تمحو وتمصح
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم	فكل اناء بالذي فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بفعله	فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يرتمي	ولكن حلما للمؤيد أرجح
وبين ضلوعي من هواه تميمة	ستنفع لو ان الحمام مجلح

وكانت قصائد ابن عمار في استعطاف المعتمد تقرأ في المجالس الادبية ومرة في حضرة المعتمد اخذ اعداء ابن عمار ينتقدون الشعر ويطلبون له عيبا ويقولون اي معنى اراد في البيت الاخير فما قال شيئا ولا كاد فقال لهم المعتمد مهما سلبه الله من المروءة والوفاء فلم يسلبه

انا والليل

وسرقت يا ليل الطريق .
وسلبت من نجمي البريق
امواجك السوداء لفتني كافعى جائعه
صفصافة في حقلك المصفر ...
تعوي حولها ريح الشتاء

ايـن القمر ؟
اعرفته يا ليل في اي البحور
لم تبق لي دربا لفجر
ارتجي منه العبور ...

ما لي ارى هذي الغيوم
عمياء لا تدري الى اين المسير
تجري ... تفتش عن مقر ...
امطارها طفل هوى من مهده
ليمس اكمام الزهر !

سيري غيوم الليل
نحو الرمل والصحراء
غيثا من رجاء
ينهل فيها يغسل الادران املاح السموم
ليطل ، بعد غياب ، وجه القمر
وترف آلاف النجوم !

حمص — حيدر سلوم

الشعر انما قلب بيت الهذلي :

واذا المنيـة انشبت اظفارهـا — ألفيت كـل تميمـة لا تنفـع

وسمعت اعتماد بان المعتمد ينوي اطلاق سراح ابن عمار فجن جنونها واستعانت بابي بكر ابن زيدون والد الشاعر المعروف واستعان هـذا بصغار الشعراء الذين كانوا يحسدون ابن عمار فقالوا للمعتمد ان ابن عمار وهو في مرسية نظم قصيدة في هجاء أهـل المعتمد لا سيما زوجته واولاده فلم يصدق المعتمد فاستمهلوه الـى ان يحصلوا على اثبات قاطع له واخيرا تـم لهم مـا ارادوا فحصلوا على نسخة من تلك القصيدة مكتوبة بخط يد ابن عمار نفسه والقصيدة واردة في عدة مراجع ادبية فيهـا شيء غير قليل من الفحش والاقذاع ومع ذلك فهي قويـة السبك متينة العبارة مطلعها :

ألا حي بالغـرب حيـا حـلالا — أناخـوا جمالا وحازوا جمالا
وعـرج (بيومين) ام القـرى — ونـم فعسى ان تراهـا خيـالا
لتسأل عـن ساكنيهـا الرمـاد — ولم تـر للنـار فيهـا اشتعـالا

وينتقل الى هجو اعتماد الرميكية زوجة المعتمد :

تخيرتهـا مـن بنـات الهجيـن — رميكيـة مـا تساوي عقـالا
فجـاءت بكـل قصيـر العـذار — لئيـم النجاريـن عمـا وخـالا
قصـار القـدود ولكنهـم — أقامـوا عليهـا قرونـا طـوالا

ثم يصف ايام شبابهما وصفا بذيئا ويقول :

سأكشف عرضك شيئـا فشيئـا — واهتك سترك حـالا فحـالا

ويقرأ المعتمد تلك القصيدة كاملة بخـط ابن عمار فيفقد صوابه . وتقول لنا الرواية انه مسك طبرزينا وهي آلة أشبه بالبلطة كان قد اهداها اليه الفونسو السادس وذهب الى حيث كان ابن عمار يرسف في اغلاله ففـزع ابن عمار لرؤيته وارتمى علـى رجليه يقبلهما ويبللهمـا بدموعه ولكن المعتمد اخذ يضربه بتلك الآلـة حتى اجهز عليه ولم يتركه الا جثة هامدة تضرجها الدماء .

تلك هي قصة المعتمد وابن عمار . فهـل هي قصة صداقة تحطمت على صخرة العقوق ام ان هناك حـدا يضيق بعده المرء بالاحسان اليه وينقم عنده على المحسن نحوه ، ذلك لان الاحسان يضع المرء في موقف الضعيف المستجدي ام ان الصراع في الاصل هو صراع بين ابـن عمار واعتماد للاستئثار بقلب المعتمـد . ان مثل هـذا الصراع لا بد بطبيعته ان ينتهي بفشل ابن عمار فاعتماد كانت اثيرة عند المعتمد وان امراة بذكاء اعتماد اقرب الى اذن زوجها واقرب الى حياته من اي كائن آخر . فـأن سعى ابن عمار فـي منافسة اعتماد واكتساب عداوتها فقد ارتكب بذلك خطأه الفادح ام ان هذا العداء هو نتيجة حتمية لم يكن لابن عمار يد او مجال للاختيار فيها وليس منها لاحد مهرب او نجاة ذلك لان كلاهما اراد الاستئثار بالمعتمـد .

ومهما كان الحال فقد حزن المعتمد بعد ذلك حزنـا شديدا على صديقه القديم وندم لفعلته اشد الندم ويقول صاحب النفح ان ذلك الندم بقي ينغص على المعتمد هناءه وسعادته طوال بقية حياته .

لندن — فؤاد جبور حداد

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

موسى العلمي - محيي الدين الملاح مصطفى مراد الدباغ

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ موسى العلمي

الحكمة التي آمن بها موسى العلمي وبشر بها في ندواته ومجالسه ، واتخذها شعارا قبل وقوع النكبتين المروعتين في فلسطين قوله : « اننا لن ننتصر على اسرائيل النصر النهائي حتى ننتصر على انفسنا ! »

ولد موسى العلمي » في بيت المقدس عام ١٨٩٧ ودرج في مدارس العز والدلال وانتقل من منزله في القدس الى الكولونية الاميركية في المدينة الثكلى وتعلم الانكليزية في مدرستها وعاد الى رعاية والده العالم المرحوم فيضي العلمي وتلقى دروسا خاصة الى عام ١٩٠٩ والتحق بـ « المدرسة الدستورية » بالقدس لمؤسسها المربي المرحوم خليل السكاكيني وامضى فيها سنتين ومنها انتقل الى كلية الفرير بالقدس وقضى على مقاعد الدرس ثلاث سنوات . وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) دخل الجندية وتنقل بين دمشق واستانبول ، وبعد ان وضعت الحرب اوزارها قصد جامعة كمبردج في بريطانيا طلبا للعلم وصرف فيها اربع سنوات (١٩١٩ ـ ١٩٢٢) وتخصص في الحقوق ونال شهادة L.L.B. بشرف وفي الوقت نفسه التحق بمعهد حقوق INNER TEMPLE وتخرج منه عام ١٩٢٣ وعاد الى فلسطين يحمل درجة BARRISTER - ATLAW

وفي عام ١٩٢٥ عين في وظيفة كبرى بدائرة النيابات العامة بالقدس وظل يعمل فيها لغاية عام ١٩٣٧ وبعدها شغل وظيفة « محامي الحكومة » وهي اعلى وظيفة اسندت لعربي في فلسطين .

وفي عام ١٩٣٧ اقاله المسؤولون البريطانيون من عمله ايمانا منهم بعطفه على قضية بلاده وشجبه تهويدها واغراقها بسيل الهجرة اليهودية فابعدوه الى بيروت تخلصا من رجل يقاوم سياستهم الملتوية .

وعندما دعت بريطانيا الى مؤتمر فلسطين المنعقد في لندن عام ١٩٣٩ كان الاستاذ العلمي احد اعضاء الوفد الفلسطيني المفاوض ، وبعد ان نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) ابعدته السلطات الفرنسية عن لبنان الى العراق وظل فيه الى ان دخله الانكليز عام ١٩٤٠ فعاد الى بيروت الى ان احتل الجيش البريطاني لبنان عام ١٩٤١ فعالج مع المسؤولين البريطانيين قضية تشريده عن بلاده فسمحوا له بالعودة الى فلسطين والاقامة في « شرفات » (وهي قرية يملكها الاستاذ العلمي بالقرب من مدينته بيت لحم) اقامة جبرية لمدة سنة .

وبعد ان تلطف الجو السياسي عام ١٩٤٣ سمح له بالاقامة في القدس ومزاولة المحاماة. وفي خريف عام١٩٤٤ كان موضع ثقة الاحزاب السياسية الفلسطينية التالية : الحزب العربي ، حزب الدفاع ، حزب الاستقلال ، حزب الكتلة الوطنية ، حزب الاصلاح ، حزب الشباب .

ولبعده عن الحزبية اختارته هذه الاحزاب ممثلا لها في المؤتمر المنعقد في الاسكندرية عام ١٩٤٤ لتأسيس « الجامعة العربية » . ولخطورة هذا الموضوع يجدر بنا ان نجيء على ذكر بعض التطورات السياسية التي مر بها هذا المؤتمر .

مؤتمر الاسكندرية : في ٢٥ ايلول من عام ١٩٤٤ اجتمعت وفود الدول العربية في الاسكندرية ، في مؤتمر عرف فيما بعد بـ « مؤتمر الاسكندرية » مع ان اسمه الحقيقي « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام » واشترك فيه مندوبون عن دول مصر وسورية والعراق ولبنان والاردن والسعودية واليمن .

اما (فلسطين) فلم تدع لهذا الاجتماع ، مع ان قضيتها هي من صميم القضايا العربية بل انها اكثرها خطورة وابعدها مدى في التأثير على مستقبل العرب وعلى كرامتهم وعلى امكانية تكتلهم وجمعهم في وحدة شاملة .

غير ان ذوي الرأي في فلسطين رأوا خلاف رأي الدول العربية ، وصمموا على ارسال وفد فلسطيني الى هذا المؤتمر ليوضح لرجال الدول العربية حقيقة الموقف في فلسطين وليؤكدوا لهم انه لن تكون هناك وحدة حقيقية اذا لم تكن فلسطين في صميمها وان اهمالهم دعوتها لهذا المؤتمر قد يفسر في الخارج على انه اقرار من الدول العربية بان فلسطين ليست عربية وان امرها ومستقبلها لن يثيرا في العرب اهتماما .

وبعد تشاور ذوي الرأي في فلسطين قررت الاحزاب الفلسطينية المذكورة ارسال وفد الى الاسكندرية لينوب عنها في اقناع الدول العربية بضرورة اشتراك فلسطين في هذا المؤتمر ثم الدفاع عن قضيتها فيه ، فاختارت الاحزاب الستة الاستاذ موسى العلمي ليمثلها بمفرده في ذلك المؤتمر ، فقصد الاسكندرية وذلل الصعاب التي قامت في وجه قبول فلسطين في المؤتمر ، وتمكن من اقناع المؤتمرين بقبول وجهة نظر عرب فلسطين ، فاشترك في ابحاث المؤتمر ودافع عن اظلم قضية عرفها التاريخ ضمن حدود الميثاق القومي الفلسطيني .

ونجم عن هذه الابحاث وضع بروتوكول الاسكندرية عام ١٩٤٤ وفيه عهد للدول العربية بانقاذ فلسطين ، لكن الدول العربية لم تف بالعهد المسؤول ، وفي هذا المؤتمر بحثت لاول مرة فكرة انقاذ اراضي فلسطين عن طريق تمكين الفلاح فيها وذلك بتحسين حالة الاراضي وزيادة انتاجها ورفع مستوى الفلاح اقتصاديا وثقافيا وصحيا . وما لبثت هذه الفكرة ان تبلورت في اللجنة الاقتصادية التابعة لل « جامعة العربية » في شهر تموز ١٩٤٥ واخيرا في دستور « المشروع الانشائي العربي » الذي تبناه مجلس الجامعة .

المشروع الانشائي العربي : ومن حق التاريخ العربي المعاصر علي ان اجيء بلمحة عن هذا المشروع العربي :

تألفت في الاسكندرية لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي (من ٢٥ ايلول ١٩٤٤ الى ٧ تشرين الاول ١٩٤٤) بحضور ممثلين عن سبع دول عربية وكان الاستاذ العلمي ممثلا لعرب فلسطين . وبعد ان وقف وشكر المؤتمرين على قبوله في اللجنة التحضيرية انبرى يشرح ادوار القضية الفلسطينية وما مر بها من ثورات واضطرابات ، وما يبيت لها في السر والعلن من مؤامرات للاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة وتسليمها لقمة سائغة للكارن كايميث « شركة الصندوق القومي اليهودي » ومحو القرى العربية من الوجود وتشتيت اهلها وشطب اسمائها من خارطة فلسطين .

وفي الجلسة الثالثة المنعقدة في ١ تشرين الاول ١٩٤٤ اقترح الاستاذ العلمي تأسيس صندوق قومي عربي عام تشترك فيه جميع الاقطار العربية وتشرف على ادارته ، فتوقف للعرب ، كما يوقف اليهود لليهود ، اراضي فلسطين الباقية لتظل في ايديهم ، وانذر العلمي المجتمعين بان عرب فلسطين اذا ما حملوا على الخروج منها فلن يتمكنوا من الرجوع اليها ، وختم كلامه بقوله :

« والخلاصة اننا نحن عرب فلسطين قد اصابنا من جراء السياسة الصهيونية اكبر ضيم ، وقمنا بأكبر التضحيات ، وقد استشهد منا اكثر من خمسة آلاف شهيد ، ونسف لنا عشرة آلاف بيت ، وهدمت بالمصفحات بيوت حقيرة للفقراء والمساكين ، وخسائرنا المادية لا تقدر بالملايين ، وتشتت زعماؤنا واولو الرأي فينا . وما زالت السجون ملأى برجالنا والمعتقلات تضم ابناءنا .. فحملنا ثقيل والطريق شاق .

فاذا سألتموني ماذا نحن بعد ذلك فاعلون ؟ قلت لكم بكل هدوء واطمئنان : اننا مصممون على الاستمرار في الجهاد حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ، لاننا نرفض الذل ولا نرضى بالاستعباد ! » .

وقبل انفضاض اللجنة التحضيرية في الاسكندرية ابلغ مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر آنذاك ، الاستاذ العلمي تعيينه عضوا في اللجنة الاقتصادية التي اشار اليها بروتوكول الاسكندرية ، فشرع من توه في درس الموضوع ومراجعة الخبراء ، واخيرا اسمت اللجنة التحضيرية هذا المشروع « المشروع الانشائي العربي » ولهذا المشروع أساسان مهمان :

الاول - ان تقوم به الحكومات العربية دون تفكير بربح او باسترجاع رأس المال ، بل تقوم به على أساس فكرة المحافظة على الكيان ومنع جلاء العرب والحيلولة دون زوالهم من فلسطين .

الثاني - ان المشروع مبني على العمل لاستئصال المرض من الاصل وليس على فكرة تخفيف وطأة المرض عند حلوله . وبمعنى آخر يجب ان لا ننتظر حتى تقع ارض عربية في خطر البيع فنأتي لانقاذها وتخليصها من المشتري اليهودي ، بل علينا ان نمنع الظروف والاسباب التي تحمل صاحب الارض على بيع أرضه .

وفعلا تألفت في مدينة القدس جمعية سميت « جمعية المشروع الانشائي العربي » مركزها مدينة اريحا ، وسجلت في الدوائر المختصة بموجب قانون الجمعيات ، وغاياتها الاساسية :

أ - اصلاح القرية العربية ورفع مستواها الصحي والعمراني ،
ب - تحسين حالة المزارعين العرب الاقتصادية والاجتماعية ،
ج - تحسين الصناعات الزراعية والقروية ،
د - تشجيع التشجير على انواعه ،
هـ - الاخذ بالنظام التعاوني ،
و - انشاء معاهد للتدريب الزراعي والصناعي للايتام والمعوزين العرب مجانا .

بعد النكبة الاولى : لكن هذه الاهداف تغيرت بعد وقوع النكبة الفلسطينية المروعة (١٩٤٨) فبعد ان فقد العرب مدنا وقرى فلسطينية وخرج حوالي مليون عربي الى التيه ... ترتب على جمعية « المشروع الانشائي العربي » واجبات جديدة لم تكن تخطر على البال ، فالهدف الذي كان « رفع مستوى القرى وتحسين احوالها » اصبح في عام ١٩٤٨ « جمع الشمل ورفع الروح المعنوية وخلق امة جديدة واعية » .

وبعد توحيد ضفتي الاردن اتصل المسؤولون عن جمعية المشروع الانشائي العربي بالمسؤولين الاردنيين وطلبوا السماح لهم بالاستيلاء على اراض موات ، تقع بين أريحا - الشونة ، بقصد احيائها وفي شهر آب ١٩٤٩ سمح للجمعية بوضع يدها على تلك الاراضي الموات وبدأ المسؤولون بدرس احسن الطرق لاحيائها والتنقيب عن المياه الجوفية بآلات وادوات بدائية ، وفي نهاية كانون الثاني ١٩٥٠ تفجرت المياه الحلوة في تلك الاراضي الموات وتحققت الآمال ، وتطلع الاستاذ العلمي وبقية اعضاء جمعية المشروع الى تأسيس معاهد لايتام اللاجئين والمعوزين .

ففي شهر آذار ١٩٥٢ افتتح مركز التدريب الزراعي الصناعي لايواء وتعليم الايتام والمعوزين من اللاجئين ، ويشمل التدريب الزراعي عملية تحلية الاراضي من الملوحة وتسويتها وزراعة الحبوب والخضار والفواكه وتربية الدواجن والابقار وصنع الالبان .

يشمل التدريب الصناعي النجارة والحدادة والميكانيك والخياطة والنسيج وصناعة الاحذية .

وبفعل ايمان الاستاذ العلمي استحالت الصحراء الموات الى جنان وارفة الظلال وبرهن هذا العملاق الفلسطيني على ان الارادة القوية لا تعرف يأسا ، فاجترح وحده معجزات عجزت عنها الدول العربية مجتمعة !

وفي عام ١٩٤٥ ، على اثر اقرار « الجامعة العربية » انشاء مكاتب عربية في لندن وواشنطون للدعاية للقضايا العربية ، انشأ الاستاذ العلمي مكتبا في نيويورك وآخر في لندن وثالث في القدس ورابع في بيروت .

والذين عاصروا هذه المكاتب يذكرون نجاحها اذ لجأ الاستاذ العلمي في توجيهها الى خطة حكيمة هي الاتصال بما يسمونهم « الرجال - المفاتيح » ككبار موظفي الخارجية والساسة والصحفيين باعتبار ان التأثير في هذه الفئات اختصار للشوط الذي سبقتنا اليه الدعاية الصهيونية .

هناك اجماع كلي على ان الاستاذ العلمي شخصية فذة وهبها الله قدرا موفورا من الاخلاص والعلم والذكاء ورجاحة العقل ، و « الوطنية » في مفهوم تفكير وادراك وعمل ... لا كلام وشقشقة وثرثرة !

من آثاره القلمية : عز على الاستاذ العلمي ان تزدرد الصهيونية العالمية (فلسطين) قلب العالم العربي ، وتشرد شعبها ، وتطمس معالم العروبة والاسلام فيها ، فهب ، وهو الحكيم الرصين الى معالجة الكارثة الاولى التي عصفت بالعرب عام ١٩٤٨ بوضع كتاب قيم اسماه « عبرة فلسطين » ولنفاسة الموضوعات التي عالجها الاستاذ العلمي اقبل المثقفون العرب على دراسته ، ونجم عن هذا الاقبال طبع الكتاب ثلاث طبعات في عام ١٩٤٩ .

نموذج من نثره : « مرت معركة فلسطين في دورين : ففي الدور الاول كان عبء الدفاع ملقى على عاتق الفلسطينيين . وفي الدور الثاني تناولته الجيوش العربية ، لكن العرب لم يحسنوا الدفاع عن فلسطين في كلا الدورين .

في الدور الاول ، كانت مواطن الضعف الاساسية في الدفاع العربي ، أننا كنا على غير اهبة ، وان لم نؤخذ على غرة . وكان اليهود على اهبة كاملة . واننا سرنا في المعركة على مقياس الثورات السابقة ، وسار اليهود فيها على مقياس الحرب الشاملة . وأننا ادرناها على طريقة موضعية ، دون وحدة ، ودون شمول ، ودون قيادة عامة ، فكان دفاعنا مفككا ، وامرنا فوضى ، كل بلد يحارب وحده ، ولم يدخل المعركة الا ابناء المناطق المجاورة لليهود .

وادارها اليهود بنظام موحد ، وقيادة موحدة ، وتجنيد عام ، وان سلاحنا كان رديئا وناقصا ، وكان سلاح اليهود حسنا قويا ، وان اهدافنا في المعركة كانت مضطربة متباينة ، وكان هدف اليهود كسب المعركة .

هذه الثغرات نفسها كانت مواطن الضعف في دفاعنا ، في الدور الثاني ، دور الجيوش العربية : التفكك وفقدان القيادة الموحدة ، والارتجال وتباين الاهداف ، وزاد عليها التخاذل وعدم الجد في الحرب .

وكما اننا لم نحسن العمل في الميدان العسكري ، كذلك لم نحسنه في الميدان السياسي . كانت اعمالنا مرتجلة ، وكانت تصرفاتنا سلسلة من الاخطاء الكبيرة ، ولم يكن لنا هدف واضح ، ولا خطة معينة . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا وذاك ان حلت بنا الكارثة واضعنا فلسطين !

وانما كانت هذه الثغرات انعكاسا لحالة الامة العربية والنظم القائمة فيها ، فهي في نظامها السياسي مفككة ، يقوم نظامها على التجزئة ، وقد انعكس ذلك على صفوفها في المعركة ، فكان هذا التفكك

والتخاذل . ثم ان زمامها في ايدي حكومات عاجزة تنقصها الكفاية والامة نفسها لا تزال ضعيفة الوعي والنمو » .

٢ ـ الشيخ محيي الدين الملاح

ولد في ميناء طرابلس الشام عام ١٨٧٦ وتعلم القرآن الكريم وختمه عند الشيخة صفية زوجة المرحوم عبد القادر جعاره التاجر في الميناء واتقنه قراءة وتجويدا على الشيخ عبد اللطيف العلمي الحسيني المعروف ب (السبع) وتعلم على يديه الخط والانشاء والحساب . ثم لزم العالم الورع الشيخ ابراهيم السندروسي الحسيني ، الامام والمدرس في الجامع المنصوري الكبير بطرابلس وقرأ عليه قسم العبادات ، من حاشية ابن عابدين وقسما من علم التوحيد ، ولزم دروس الشيخ عبد الكريم بن السيد محمد عويضة مدة طويلة وقرأ عليه الكتب العلمية العالية من نقلية وعقلية واجازه اجازة عامة بالفتوى والتدريس العام وكناه منذ صغره ب « ابي الفضل » .

وفي عام ١٩٠٢ عين معلما للدروس الدينية والعربية في المدرسة السورية ببيروت في عهد مديرها الشيخ طه النصولي وفي عام ١٩٠٥ عين رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية في حيفا وقام بالتدريس في جامع النصر الكبير هناك . وفي صيف عام ١٩١٨ عين قاضيا شرعيا فيها ونقل في شتاء عام ١٩٢١ قاضيا شرعيا ليافا وفي ربيع عام ١٩٢٣ نقل قاضيا شرعيا للرملة .

وفي صيف عام ١٩٢٤ نقل الى القضاء المدني وعين قاضي صلح في بئر السبع فخدم القضاء الشرعي والمدني هناك وفي صيف عام ١٩٢٨ نقل قاضي صلح في غزة فاستقال من القضاء الشرعي وتفرغ للقضاء المدني .

وفي ربيع عام ١٩٣١ نقل قاضي صلح لنابلس وبقي فيها الى ان احيل على التقاعد في عام ١٩٣٧ وخلال توليه القضاء كان مثالا اعلى للقاضي النزيه وفي ذلك يقول :

صن ايها المأمور أي وظيفة ... وليتها وانهض بها بالصدق نهضا
ان الوظيفة مثل عرضك صونها ... فرض فلا تثلم وقيت السوء عرضا

وتميز الفقيد بنصرة الحق ، وفي سبيل الحق كان لا يتأثر بالصداقات وفي ذلك يقول :

الحكم للحق عندي فالصديق به ... مثل العدو هما بالعدل سيان
فلا صديقي يرجوني لباطله ... ولا عدوي عند الحق يخشاني

وفي كل صباح كان يناجي نفسه قائلا :

ان تشأ ان تكون دوما قويا ... فتوكل على العزيز القوي
وقل الحق لا تخف فيه لوما ... واستقم وامض في الصراط السوي

وكان يصارح (الوسطاء) بان الحق شفيع نفسه ، وان الباطل لا شفاعة فيه :

يا من أتى متشفعا بقضية ... أو أي امر للسوى يقضيه
الحق اكبر شافع في نفسه ... والبطل لا ترجى الشفاعة فيه
لم اعط ديني للشفيع بباطل ... وأصون عرضي عن فعال سفيه

وكان المترجم له اذا خرج من المحكمة جم الحياء ، موفور التواضع ، يسلم على الكبير والصغير والبشاشة تعلو وجهه :

اني من الناس لا أعلو على أحد ... الا على من بثوب الكبر مؤتزر
وان من شيمي والدين أدبني ... حسن التواضع عن قدر له خطر

وفي عام ١٩٣٨ زاول الفقيد المحاماة امام المحاكم الشرعية والنظامية بفلسطين وكان المبدأ الذي سار عليه رفض أية دعوى تقوم على الباطل . وفي اخريات ايامه هجر اصحابه وجاور مسجد كاتب الولايات بمدينة غزة ، يطالع الكتب ، ويعد الخطب ، ويردد هذا البيت :

فمن زارني أهلا وسهلا ومرحبا ... ومن لم يزرني لا ملام ولا عتبا

وفي شهر كانون الاول من عام ١٩٥٢ اصيب برشح لم يمهله اكثر من ثلاثة ايام ففاضت روحه يوم الجمعة الموافق ٢٦ كانون الاول ١٩٥٢ ودفن في المقبرة المجاورة للمستشفى البلدي بغزة هاشم .

من آثاره القلمية :

١ ـ الغرر البهية ، في نظم متن الحكم السكندرية (لابن عطاء الله السكندري) في التصوف والتوحيد وقد نظمها الملاح شعرا .
٢ ـ عمدة الحاكم ، ومن يتردد للمحاكم (في القضاء) .
٣ ـ نظم الدر المنثور ، من الحكم والامثال والمأثور .
٤ ـ دروس العوام ، في شهر الصيام (ضم طائفة من تفسير بعض آي من الذكر الحكيم وبعض الاحاديث النبوية) .
٥ ـ خير الاستدلال ، بتفضيل العلم على المال (وهو حوار بلسان خمسة من طلاب المدارس) .
٦ ـ النهج المؤيد ، بمولد محمد صلى الله عليه وسلم .
٧ ـ الفرائد من شوارد الفوائد .
٨ ـ الخطة العصرية في الخطب المنبرية الوعظية .
٩ ـ نيل الامنية في المحاضرات الادبية .

نموذج من شعره : في شهر آب عام ١٩٢٧ زار « شوقي » لبنان فزين له احبابه والمعجبون به زيارة (زحلة) جارة الوادي وارض العنب ... وذكره المرحوم شكري بخاش صاحب « زحلة الفتاة » بالخريدة التي وعد بها في وصف زحلة ومفاتن واديها وسحره الخلاب !

وفي اعقاب آب ١٩٢٧ خف « شوقي » الى زحلة عاصمة البقاع وهناك جذبته الطبيعة التي نحتها الخالق . وانجازا للوعد نظم القصيدة التي وعد بها في وصف زحلة وهو نزيل « فندق قادري » وقدمه المرحوم خليل مطران امير الصناعتين والقى القصيدة بالنيابة عن « شوقي » وبحضوره الكاتب الناقد الاستاذ فكري أباظه وكان مطلعها :

شيعت أحلامي بقلب باك ... ولمت من طرق الملاح شباكي

الى ان يقول :

يا جاري الوادي طربت وعادني ... ما يشبه الاحلام من ذكراك !

وتناهت ابيات هذه المعلقة المعتقة الى الشيخ محيي الدين الملاح فبادر الى تشطيرها وكان موفقا في عمله ، ومما وعته الذاكرة من أبياتها قوله :

لم انس في (الوادي) لقاء زادني ... شغفا بجارته وانسا صادني
قسما بحسن للصبابة قادني ... يا جارة الوادي طربت وعادني
ما يشبه الاحلام من ذكراك

اصبحت من خمر الحرام محيرا ... وبمهجتي جمر الهيام تسعرا
وفقدتما يدعى الشعور بما جرى ... مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى
والذكريات صدى السنين الحاكي

والله يشهد كم سريت بغدوة ... ابغي لقاك وكم سرحت بعدوة
ولكم هبطت وكم علوت بذروة ... ولقد مررت على الرياض بربوة
غناء كنت حيالها ألقاك

يا منية النفس التي بعد النوى ... منت بوصل كان لي نعم الدوا
اني على فرط اشتياقي والجوى ... لم ادر ما طيب العناق على الهوى
حتى ترفق ساعدي فطواك

ونشرت شعرك فاحما متوهجا ... فبدا به فجر المحيا ابلجا
ونظرت ثغرك فانعطفت معرجا ... ودخلت في ليلين فرعك والدجى
ولثمت كالصبح المنور فاك

وهناك اخبار العفاف توائبت ... ومع النفوس الهائجات تجاذبت
فتقطعت سبل المنى وتراقبت ... وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عيني في لغة الهوى عيناك

ما لي زمان في حياتي يحمد ... الا الذي القاك فيه فأسعد
يا بهجة الايام انت المقصد ... لا امس من عمر الزمان ولا الغد
جمع الزمان فكان يوم لقاك !

٣ – مصطفى مراد الدباغ

من ابرز سمات « مصطفى » دفاع عن الحق ، وصراع مع الباطل وامعان في محاربة الظلم ومقارعة الظالمين . وكان شعاره لنجليه وطلابه قول سعد زغلول : « لا يفوتكم ان تحتجوا على كل عمل ترون فيه مخالفة للقانون مهما كان صغيرا في نظركم ، فربما كان لهذا الامر الصغير علاقة في المستقبل بامر كبير ، فيتخذ سكوتكم حجة عليكم ! » .

في يافا عروس الشاطىء الفلسطيني ولد « مصطفى » عام ١٨٩٨ واكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الاميرية بيافا ودراسته الثانوية في سلطاني بيروت . وفي عام ١٩١٥ عين مرشح ضابط في الجيش العثماني وارسل الى معسكرات الجيش في استانبول وسرعان ما انضم الى الحملة التي قصدت الحجاز بقيادة فخري باشا . وبوصفه عربيا لم يرسله المسؤولون الاتراك مع رفاقه الضباط الذين يمموا الجبهة ، بل عهدوا اليه بعمل كتابي في المدينة المنورة وحوصر فيها عندما اعلن الحسين بن علي الثورة على الاتراك .

وحينما استسلم فخري باشا القائد التركي للجيش العربي التحق « مصطفى » بالجيش العربي بقيادة الامير عبد الله بن الحسين وبعده شقيقه الامير علي ، وظل « مصطفى » في الحجاز حتى اعلان الهدنة واحتلال الجيش البريطاني لفلسطين فعاد اليها وعين مديرا لمدرسة المنشية الاميرية (١٩١٩ – ١٩٢٢) فمديرا لثانوية الخليل (١٩٢٢ – ١٩٢٧) فمساعدا لمفتش المعارف بلواء نابلس (١٩٢٧ – ١٩٢٨) فمساعدا لمفتش المعارف في غزة (١٩٢٨ – ١٩٣٢) فمفتشا للمعارف في يافا (١٩٣٣ – ١٩٤٠) فمفتشا للمعارف في نابلس (١٩٤٠ – ١٩٤٥) فمفتشا للمعارف في يافا (١٩٤٥ – ١٩٤٨) .

وبعد ان اجتاحت النكبة الاولى فلسطين (١٩٤٨) عين استاذا للاجتماعيات في ثانوية حلب فمفتشا لمدارس المقاصد الخيرية ببيروت (١٩٤٩) فمساعدا لوكيل وزارة المعارف الاردنية (١٩٥٠) فوكيلا لوزارة المعارف (١٩٥٤) فمديرا للمعارف في قطر (١٩٥٩ – ١٩٦١) .

من آثاره القلمية : زود « مصطفى » الخزانة العربية بمجموعة من المؤلفات ، ودونك اسماءها :

(١) مدرسة القرية طبع عام ١٩٣٥
(٢) بلادنا فلسطين طبع عام ١٩٤٧ (الطبعة الاولى)
(٣) التاريخ القديم للوطن العربي طبع عام ١٩٥١
(٤) الموجز في تاريخ فلسطين طبع عام ١٩٥٦
(٥) قطر : ماضيها وحاضرها طبع عام ١٩٦١
(٦) الجزيرة العربية (جزءآن) طبع عام ١٩٦٢
(٧) بلادنا فلسطين (الجزء الاول – القسم الاول) طبع عام ١٩٦٥
(٨) بلادنا فلسطين (الجزء الاول – القسم الثاني) طبع عام١٩٦٦
(٩) نابلس وبلادها (جزءآن)

وفي خريف عام ١٩٦٦ منحت « جمعية اصدقاء الكتاب » في لبنان نصف « جائزة فلسطين » التي قدمها السيد توفيق عساف وقيمتها ٣٠٠٠ ليرة لبنانية ، للاستاذ الدباغ تقديرا لكتابه الجامع « بلادنا فلسطين » . وهذا الكتاب يعرض لك صورة حية لمعالم بلادنا ، فلسطين ، ذاكرا اسماء جميع مدنها وقراها ومختلف بقاعها ونواحيها باسمائها العربية ، التي عمل الاعداء على تبديلها وتسميتها باسماء يهودية ، حتى تزيل صبغتها العربية وينساها الفلسطينيون والعرب .

نموذج من نثره : « وهكذا فانت ترى ايها القارىء الكريم ، بان بلادنا ، فلسطين ، الارض الطاهرة ، الارض الطيبة المستباحة ، القطعة الغالية المقدسة من الوطن العربي ، والتي لا تزيد مساحتها عن عشرة الاف ميل مربع الا قليلا ، تمتاز بروائع تكوينها وبجمالها الطبيعي الساحر الخلاب ، وبمناخها المطلوب لاي فصل من الفصول ، وباريج زهورها ورياحينها ، وبوجهها المخضوضر الذي يرتد البصر عن آفاقه حاسرا وهو يرجو لو علق به الى الابد .

ففي الجبال ، التي كانت معاقل الجهاد ، تتجلى لك فلسطين بما فيها من سمو وجمال . فدائرة المشاهد فيها مترامية الاطراف ، بعيدة الآفاق ، تطل على اجمل ما خلقه الله من مناظر . في هذه الاعالي الاعجوبة ، فهي تريك طورا البحر والسهول وتارة الاغوار والنجود : مشاهد طبيعية رائعة تكمن فيها الفتنة ويستشف منها السحر .

ففي الربى يكون الجمال بين يديك ، والخيرات امام ناظريك . والهواء النقي المنعش يتخلل رئتيك ... تسمع فيها خرير المياه المتدفقة وتغريد الطيور الجميلة وحفيف الاشجار العالية .

ومن اجمل ما تراه العين من الاعالي الحقول ، اما محروثة او عامرة سنابلها بالحب ، والسهول الخصبة اللطيفة التي تتخلل المرتفعات ، والاودية والشعاب التي تتموج في اخضرارها واصفرارها ، والربى الخضراء البهيجة المزينة بالازهار المختلفة الالوان يفوح طيبها بين الادغال تحيي المارة بروائحها الذكية ...

كما ترى كروم العنب وقد احتضنت ثمرها ، وغابات الزيتون البهيجة العامرة تداعبها الرياح فتظهر للرائي ، وكانها مغطاة ببرقع فضي شفاف جميل للغاية ... وتبدو القرى خلال هذه الربى والمزارع والكروم والغابات وكانها جزر من اللؤلؤ في بحر الزمرد ، او متنزه رشيف تلفه الاشجار الوارفة الظلال والازاهير الزاهية الالوان ...

وعلى الجبال « صفد » المطلة على اجمل المناظر ، واغربها واكثرها روعة : الجليل وطبرية والحولة وغيرها ... و « الناصرة » عروس الجليل الحافلة بالذكريات المسيحية المقدسة ، والتي كان بيتا من بيوتها قد جمع الطهارة باكملها ، وانشا شابا خالصا من كل شائبة في وجه دنيا رجس وسوء ... وبقية القدس ، التي تضم كثيرا من رفات الصحابة والذكريات ودماء الشهداء ... وغيرها من المدن والقرى التي نعرفها ، كل شبر فيها يحكي قصة ويروي تاريخا . (والحمد لله الذي وقى بعضها شر الاعداء اللئام) .

وفي الجبال بعض الربى الماحلة ، الا انها لا تخلو من اماكن تزينها الكروم ، وادواح خضراء متناثرة على سفوحها ، ووديان مخضرة يسرح فيها قطعان من المواشي . وفي هذه الارجاء تختبىء مواطن فتنة وسحر عديدة حبتها بها الطبيعة الطيبة .

واذا وليت وجهك من هذه الجبال ، شطر الغرب تر مشهدا منقطع النظير ، قلما تجد له شبيها في سحره وفتنته : انهرا وجداول ، حقولا مزروعة ومحصودة ، سهولا فسيحة تزدهي بشتى الخيرات من حبوب وبقول وخضر وفواكه ...

وفي هذه السهول ترى غابات البرتقال وبياراته ، جنة الساحل وفخره ، مثقلة بالاثمار الذهبية في فصل الشتاء ، وفواحة باريج الزهور وشذا العطر التي يحملها النسيم رطبا معطرا الى مختلف الاماكن في الربيع ، وتفيء من ادواح شجرها سابغ الظل طيلة ايام السنة .

وهناك دون السهول وبيارات البرتقال شواطىء البحر الجميلة الخلابة التي تتدافع عليها الامواج مرددة اغنية التاريخ وما قبل التاريخ وحوادث الايام ... ذلك الشاطىء الذي كان يعمره المستحمون وطلاب المتع الشاطئية من بني يعرب بحيويتهم الدافقة ، ويشيعون من حولهم مجالي البهجة والمرح .

وفي الافق ازرقاق البحر الذي تتالق صفحاته في وهج الشمس ، وقد ترى فيه دخان البواخر واشرعة المراكب ... يا له من مشهد رائع ساحر ! ها هي يافا : عروس الوطن المنتهب ، وسيدته الكبرى ، وكانها واحة افلتت من الجنة ؟

ها هي الرملة واللد واطرافهما ! تذكرنا ببطولة اهلها ، وببطولة قافلة من شهدائنا استشهدوا في سبيل وطنهم ، ولكل منهم قصة خالدة على مر الزمن .

وهناك في الجنوب العروسان اللتان بشرنا بهما الرسول : غزة

وعسقلان .

وهناك في الشمال حيفا ! قرة عين الوطن الحبيب وربة الساحل ومحجة القلوب ... وفي الافق البعيد عكا ! الشامخة الشائقة الخالدة ، البلدة الصغيرة الهادئة التي تحمل نبأ الدهور ... والتي ذكرها النبي العربي بقوله : (طوبى لمن رأى عكا) ...

وهناك فضلا عن ذلك سلسلة المدن والمزارع والقرى التي سهرت مع المجاهدين وزودتهم بالمؤونة والسلاح للابقاء على عروبة فلسطين .. مما يثير بنا كوامن المشاعر ، ويثير فينا غوالي الذكريات ...

واذا وليت وجهك شطر المشرق رأيت الوهاد السحيقة والصخور الصماء ، والغور بمزارعه وقراه ومدنه وبحيراته وانهاره . يتهادى اليك نسيم الغور في الشتاء والربيع رفيقا ، رضيا ، جافا ، معطرا باريج الازاهير والرياحين وشذا الثمار .

نرى الغور في الفصلين المذكورين مروجا خضراء تمتد عن يمين وشمال تعاونت يد الله ويد العرب بترصيعه بأروع الالوان . تراه بهيجا باخضراره ، ناعما بانواره جميلا باعشابه . وكأنه فردوس بما يزينه من الوان الازاهير الرائعة ...

وفي الغور « الاردن » الذي يعد جدولا صغيرا بالنسبة لانهار العالم الكبرى الا انه الخالد بين الانهار ، والحامل هو وبحيراته وجواره ، المقدس من المياه والذكريات !

وليس أفضل وابهج من تمضية فصل الشتاء في « الغور » . ولعل مشتى (اريحا) وجوارها لا يضاهيه مثيل في العالم في دفئه وآثاره القديمة .

وفي الغور «بيسان» البلدة المتواضعة التي شاهدت عزا ومجدا، وعاشت اياما من الدمار والخراب . ومن « طبرية » وبحيرتها ترى اجمل المناظر الساحرة واكثرها فتنة تقع عليها العين فيوطننا المغتصب.

وهناك مدن وقرى ومزارع في الغور ، حماها الله منشرور اليهود ووحشيتهم !..

واذا جنحت من الجبال جنوبا ، وانحدرت الى بئر السبع وما بعدها ، حيث يضمحل الاخضرار ، وتتضاءل الظلال ، فتغدو في بادية جبلية ، قاحلة جرداء عليها جهامة ، يحرقها لهيب الشمس .. وهي مع ذلك تمتاز بصفاء جوها ونسيمها الجاف المنشط وبهدوئها البعيد القرار . والله وحده يعلم ما تخفي من اسرار وما تخبىء من ثروات وخيرات .

وهي هي حلقة الاتصال بين عرب اسيا وعرب افريقيا .. وهي هي التي يتطلع العدو لارروائها واملائها بشبابه ورجاله .. وهي هي التي يتطلع اليها العدو لتصله مع افريقية واسيا ...

من الذي يدعي ان في وسعه وصف جمال هذه البقعة المقدسة من الارض ؟

من قال ان باستطاعته ان يفاضل بين اجزائها ، هل الساحل والسهول اكثر جمالا من الجبال ؟ ام هل الاغوار العجيبة والعميقة والصحارى المترامية اقل روعة من غيرها ؟ انها الجنة بكل معانيها ..

جمال يناجي القلب ويثير اشتات الذكريات ويبعث في الجوانح حرارة التشوق والهيام !

هذه هي نظرة خاطفة على وطننا الحبيب ، على الارض الطيبة المغتصبة ، على سواحلها وسهولها واعاليها ، وعلى اغوارها وصحاريها وعلى ثرواتها وخيراتها وجناتها وفتنتها ...

وكأنه قد اجتمع في وطننا العزيز الغالي كل مثال لمختلف الاقطار والاقاليم المسكونة على وجه البسيطة ، الامر الذي لا تجد له مثيلا في اي قطر ـ في مثل مساحتها ـ من اقطار العالم .

فلسطين لنا ونحن لها ، فلسطين لنا وحدنا ، ولا نريد فيها شريكا .. يشدنا اليها رباط اقوى من ان تعبث به الاحوال او تفصم عراه يد الزمان ...

هذه الارض الطاهرة التي استمدت من الله حنانا وتقديسا ، هذه الارض المباركة التي اسبغ الله عليها القداسة ما ملا الدنيا ، هذه فلسطين الحبيبة ، التي تجود بخيرات وخيرات .. تذكرنا بجدودنا وابائنا ـ رضوانالله عليهم اجمعين ـ الذين حرروها وعمروها وانبتوها، ثم حموها بالنبيل الغالي من دمهم .. تعرض ابناؤهم لغدر البريطان الذين خانوا الامة ، وللجناية المنكرة التي رماهم بها الامريكان ، ولبطش العدو اللئيم .. فكان الاخراج من الاوطان واللجوء والتشرد .. الشعب الذي كان آمنا مطمئنا اقتلع من ارضه وجرد من ممتلكاته وتمزق شمله في الفلوات ، وتعرض لاعظم الشقاء ، واقصى الذل والمهانة وتبددت حياته تقتيلا وتجويعا وديست حرماته عدوانا واثما . فان ما لاقاه « العائدون » يشكل افجع صفحة ذكرها التاريخ البشري ..

واصبحت فلسطين ، بما حل فيها من جماعات محمولة من شتى بقاع الارض يهودية صهيونية بعد ان كانت عربية مسلمة .

وهكذا تمركز في قلب العالم العربي عنصر غريب معاد طامح يهدد كيان العرب في سائر اقطارهم .

واليوم اشتاقت هذه البلاد الى السواعد السمراء القوية التي تعهدت جمالها الطبيعي وحولته الى سحر وفتنة .. والتي حطمت بجهودها الجبارة الصخور لتستدرها الرزق والخير وتستنبتها الزرع والعيش ...

ان الارض المخصاب والمزارع الخيرة ، اشتاقت الى الايادي القحطانية والعدنانية التي كانت تفلح وتكدح وتزرع وتحصد فتشيع الدفء في باطنها ..

اشتاقت اشجار البرتقال والكرمة والزيتون والموز .. اشتاقت البساتين المورقة الفناء التي تواتيك من الثمر بما طاب ، وتنفحك من الزهر بما نضر .. اشتاقت لفارسيها ورعاتها الذين تعهدوها بعرق كفاحهم ، وانضجوها بالدأب والكد .. فبدت لناظريها وكأنها فيعرس من الخضرة والجمال ..

متى نعود ، ونرى قرانا ومواقدها وسحب دخانها !
متى نعود ، ونرى مدننا وحدائق منازلنا !
متى نعود ، لمسرح طفولتنا وملعب صبانا !
متى نعود ، لمهد الذكريات ومثوى الاباء والاجداد !
متى نعود ، الى حيث نود حقا ان نعيش ونموت !

اننا ننتظر اللحظة التي نعود فيها الى ارضنا الطيبة لنسجد على ثراها الطاهر الذي روته دماء الرسل والانبياء والصحابة والشهداء والاجداد .

رعاك الله ايها الوطن العزيز الغالي ! والله ما خطونا خطوة فى تشردنا الا وذكرناك وانت على البعد والقرب ملء قلوبنا ووجداننا ما دبت فينا ، وفي الاجيال التي تأتي من بعدها حياة ...

فلا خفف الرحمن ما بي منالهوى ... ولا قطع الرحمن عن حبها قلبي
فما سرني اني خلي من الهوى ... ولو ان لي ما بين شرقه الىغرب

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

ام كلثوم

كانت قد ألفت بمصر لجنة من الشعراء يرعاها الوزير الاستاذ حسن عباس زكي ويرسم منهجها الاستاذ عبد الحميد جودة السحار لانتقاء ملحمة تكتب عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لتكون نشيدا تنشده « ام كلثوم » مضارعا للمنظومة الابتهالية « نهج البردة » لاحمد شوقي . وقد وقع اختيار اللجنة على النشيد العاشر « نجم احمد » من الملحمة العربية الاسلامية التي يكتبها صديقنا الدكتور زكي المحاسني ووافقت ام كلثوم على انشاد هذا النشيد . (الاديب) .

يا « أم كلثوم » خل الحب يرعانا ... أنت التي قد جعلت الحب نجوانا
غنيت في الدهر آلام الغرام وما ... يلقى المحبون ، أسقاما واشجانا
فقلت آه ورد الآه كل فتى ... يرى غناك له نعمى وسلوانا
قالوا بصوتك صاح العندليب فان ... شقشقت فيه بدا في السمع مفتانا
وقيل اسطورة « اورفي » حواك بها ... فكنت من عبقر صوتا وألحانا
لكن ، أقول وعفو الله يشملني ... فمنه صوتك قد وافاك رحمانا
بنت الخلود وأخت الدهر هات لنا ... مديد عمر لنحيا فيك أزمانا
هل كان عيسى به عهد اليك فلو ... غنيت أهل البلى أحييت موتانا
من عهد آدم كان الصوت آسية ... تأسو الجراح وتعطي الروح ندمانا
يروق الكأس من خمر معتقة ... قد راح فيها اخو الآزال سكرانا
يا رب وجد غلا في صوت منشده ... فنبه النجم حتى بات يقظانا
أأنت جنية من عالم بعدت ... منه اللقاءات حتى ضن حرمانا
أم أنت انسية تهفو بشائرها ... على السنين وتلقى الناس تحنانا
أطربت عالمنا حتى لقد نزلت ... في كل اذن نجاوى منك سكانا
وطفت في الشرق مثل الشمس مشرقة ... وكوكب الشرق قد سموك اعلانا
ورحت للغرب فاهتاجت مسامره ... لكي ترى نجمك الوهاج مرنانا
يا عفة لزمتك العمر حانية ... على الصبا واكتهال العهد برهانا
يا سيرة ملؤها عطر يفوح على ... هام الزمان لكم عطرت انسانا
كانت قيان لبسن العمر مثلبة ... فباعهن الشقا ظلما ونكرانا
فعشن في غمرات الحظ باكية ... قلوبهن وقد خالطن مجانا
أما « دنايز » فازدادت محاسنها ... لما بدت فيك طي الدهر تلقانا
نلت الدنانير آلافا مؤلفة ... كفاء صوت يزيد الروح احسانا
يا « أم كلثوم » وافيت الوئام على ... شعري بانشاده في الحفل ريانا
متى تغنينه في لحن نابغة ؟ ... يعطي تلاحينه روحا وريحانا
أنا الذي سكب الاشعار والهة ... عند الرسول وناجى النور ولهانا
أمي على التيم ربتني وقد مسحت ... بكفها عن جبين الطفل احزانا
قالت : تعال نزر أرض الرسول ففي ... لقائه لا يعود القلب حيرانا
اني لابدعها للعرب ملحمة ... تحوي التهاويل فيما جل تبيانا
ونجم أحمد فيها منك مطلعه ... ليبدع الفن في معناه أكوانا
« عبد الحميد بن سحار » له شغف ... بملحماتي التي تغريه ألوانا
وراح بالحمد صوفي يكرمني ... هو الزكي الذي افديه ديانا

يا « أم كلثوم » يا نجوى الانام اذا ... ضاع النجي وبات القلب اسوانا
يا ليت صرخة آه منك تبعثني ... يوم الحساب فالقى فيك « رضوانا »

دمشق

زكي المحاسني

الحب والناس

بقلم حسني سيد لبيب

قصة

التقي بك اليوم عبر كلمات هذه الرسالة ، وعذرا يا نبيل .. فقد تملك مني المرض وارقدني الفراش .. وعز علي أن أعيش يوما كهذا اليوم دون ان اراك ، فوجدت في الكتابة اليك سلوى وعزاء . ولانها تعبير عن مشاعر غامضة ما كنت سأبوح بها وانا معك . فلطالما خانتني الشجاعة واسقط في يدي الموقف ، فلا أعبر عما اريد او ابوح بما احس.

انا حائرة يا نبيل . كثيرا ما اسائل نفسي عن سبب لقائي بك الدائم . وكثيرا ما أثور عليها ألومها وأعنفها . ثم أفشل كلما اقترب لنا لقاء ، وأجد نفسي لتوي أنهض انسانة اخرى . وأجدني مدفوعة اليك . ارتدي ثيابي ، وأمعن النظر في المرآة . ابتسم لنفسي ، وأسائلها في ازهو : هل انا جميلة ؟ .. هل أنا أعجبه ؟! . امعن النظر في المرآة ، مزهوة بجمالي شاكرة المرآة لانها كانت الواسطة بين نفسي وجمالي . وكم تمنيت لو لثمت المرآة ، تمنيت لو كانت المرآة انت .. فهي تطري جمالي وتزهو به مثلما تفعل أنت .

نبيل يا أحلى نداء .. انت لا تعجب الناس . كل الذين يلوكون سيرتك لا يعرفون لك حسنة واحدة ، وانما هم يعرفونك بسقطاتك . انت لا تعجبهم ، ولا تعجب هذه الاعين الجائرة الحاقدة الحاسدة التي لا ترى فيك شيئا جميلا . الناس .. الناس يا نبيل كلمة عملاقة لا أعمل حسابها او ادخلها في دماغ عقلي واهتم بها . بل انا لا افكر ابدا بعقلي .. انه يناقضني تماما ، فيثور علي دائما مثلما يثور الناس على احاسيسي الرائعة . عقلي قطعة ليست مني ، قطعة ناتئة أشعر بنفوري منها ، اشعر بها شيئا تافها يزحم اعماقي ويعوق مسير دمي الثائر .

الناس كلمة ثقيلة مضجرة . أشعر بها كالجدار بيني وبينك رغم لقاءاتنا ورغم صدق مشاعرنا وفيض عواطفنا . الناس كلمة اخافها كل الخوف وأعمل حسابها — قرابة لحظات — لكنها تتبدد حين أجدني منساقة بغريزتي اليك ، مدفوعة الى محراب حبنا الذي يخشع فيه قلبي ، وتسكن نظرات عيناي في عينيك بلا خوف او ارتياب، فأستمد ثقتي من بريقهما . والناس .. هذه الكلمة تذوب ، يذوب ثقلها وينمحي ضجري منها . لا أخافها ، ولا اعمل حسابها .

الناس كلمة عملاقة احس بها في تصرفات أبي القلقة . انني احبه كل الحب ، وأعزه كل الاعزاز . لكنه يزجرني ويعنفني ، وأجده يشفق علي وينصحني بتغيير سلوكي . انه ينهاني عنك ، لا لانه يتنكر لحبي ، لكنه يبخسني حقي فيه . هذا رايه ، وهذه كلماته ، وهذه عيناه تنطقان برأيه وكلماته ، وتنظران الي في عتاب وارتياب . ولا يكتمني ما يفكر فيه ، لا يكتمني رأيه في سلوكي المنحرف كما يسميه . لكني لا أملك ان افعل شيئا . انه ساخط عليك ، وكثيرا ما نصحني بالابتعاد عنك وعن امثالك ، فهو لا يراك مناسبا .

يؤلمني ابي بكلماته ، ثم يتركني أصارع نفسي .. ثم .. ثم ماذا يا نبيل ؟! .. وأنا أجدني مدفوعة اليك . تضيع كلمات أبي ، وينطفىء ضوؤها الخاطف من سنا خاطري ويشرق نور جديد ، نور أستمده منك يا نبيل .. هذا النور أحيا به ، أستمد منه حياتي .

اهرع اليك ، ونلتقي ..

كما أحس بأبي يتألم ويتوجع حين يراني واقفة قبالة المرآة أصبغ شفتاي واعطي لعيناي بريقهما . أحس به يتألم ويتوجع حين يراني امسك بالعقد اطوق به عنقي وأدعه يتدلى على جيدي ، وحين يراني حائرة امام فساتيني لا ادري أيها ارتدي ، وأيها يحوز اعجابك . أحس بأبي حينذاك يتألم ويتوجع ، انه لا يملك ان يواجهني بتأنيب او تعنيف ، ويدعني أقابلك . انه يسخط على اليوم الذي عرفتك فيه ، وعلى اليوم الذي ولدت فيه . ولطالما واجهني بسخطه بكلمات هادئة رتيبة . اما وقت ذهابي اليك ، فلا يملك حتى هذه الكلمات .. يتركني اذهب اليك وهو يدري أني لا أستغني عنك أو أقدر على العيش بدونك . وفي هذه اللحظة تمنيت لو واجهت ابي وصارحته بأن سحرا عجيبا يشدني اليك ، تمنيت لو جثوت على جبينه أودعه قبلة حنان وأقول له :

« لا تحزن يا ابي .. لا تغضب مني .. فأنا مطيعة لك دائما . أحترمك واقدرك . لكن ما ترجوني بالتخلي عنه ، يكون فوق طاقتي ، فوق قدرتي .. يكون فوق طاقة البشر . انه الحب » .

تمنيت لو قلت له ذلك . لكن الكلمات تموت على لساني فلا ابوح. أدعه غارقا في عذاباته واهرع باحساسي الفياض وجمالي الثائر اليك .

الناس كلمة عملاقة أحس بها في ثورة اخي . انه يضيع وقته في شتمك ولعنك . وأضحك أنا من أعماقي ، وأعجب لحياة اخي التي يضيعها في الشتم واللعن وما أجداه

بها في شيء اخر . ولا أتصور ان أخي يحيا حياة أخرى غير هذه ، كأنما وجد لهذا ! . أجده طيلة مكوثه في البيت يصفعني بكلماته الحادة ، ويلطمني بمبادئه التي لا تكون الا باحراقك في خياله وامامي . ثم هو يعرف وقت خروجي اليك . يعرفه وانا اجول في البيت حائرة مضطربة كمن يبحث عن شيء مفقود .. انها نفسي التي افتقدتها وأنا بعيدة عنك .

وانت .. أنت يا نبيل نفسي الضائعة التي ابحث عنها .. فأهرع اليك .. الى نفسي !

وتمنيت لو كان اخي صورة مشابهة لك . تمنيت لو امتلك اخي هذا الشيء الحاد الذي يحفزني للقياك . لكنه غيرك تماما .. يناقضك تماما .. يلعنك ويشتمك ليل نهار ، فترتفع أنت قدرا على حساب لعناته وشتائمه .. ويزداد تشبثي بك .

وحين يلحظ ابي وهو يشفق علي وعلى لقائي بك ، لا يملك هو الاخر الا ان يشفق ، وتتبدد ثورته .. وسرعان ما تزول صلافته وقت خروجي ، وتنمحي قساوة ملامحه ازاء اصراري وازاء ما انا به .

واختي تحتضن جسدي في المساء كأنها تطمئن على انه لم ينقص منه شيء . فحين أعود ، ارتمي على الفراش .. فتحتضنني وتعنفني بهمساتها المتوجسة الخائفة ، وتلعنك في صمتها وفي همساتها وفي صيحاتها ، وتخاف منك . فالناس تخافك يا نبيل . الناس يا نبيل كلمة عملاقة احس بها في قلق اختي ، احس بضخامتها وثقلها حين تحتضنني . كأنها بهذا تنسيني ان في عالمنا من اسمه نبيل ، وكأنها تفوت علي فرصة اللقاء بك في الحلم ! . تحاول ان تنسيني عالمي ووجودي وتشدني الى عالمها ووجودها .. تحتضنني ، تقبلني .. لكني وانا في حضن اختي اهرب بأحاسيسي اليك ، فأنت عالمي ووجودي . والناس ، هذه الكلمة العملاقة ، سرعان ما تذوب وتنصهر فتصير سائلا حلو المذاق أسميه نبيل ، يسري في دمائي ، وتنتفض له عروقي .

وتمنيت وأنا في حضن اختي لو كنت في حضنك أذوب في عالمك ووجودك ، فأنت .. انت يا نبيل كل عالمي ووجودي ، انت صحوي وشرودي ، انت نفسي وردائي ، انت شكي ويقيني ، انت واقعي وخيالي .. وانت حياتي ، كل حياتي .

الناس ، هذه الكلمة العملاقة ، أحس بها في صرامة امي كلما رأتني اخرج اليك ، فتوقفني وتسألني في عنف : « الى اين ؟ » . فأجيبها في تردد : « الى .. الى ثريا » . وأخون ما قلت وأذهب اليك ، وقد لقنت ثريا ما تقوله .. بأن تدعي اننا نذاكر الكتب الصماء التي يتحفوننا بها اساتذة الجامعة .

وحين تراني امي وانا أتزين ، تثور في وجهي وتتساءل : « هل الزينة شرط للمذاكرة المجدية ؟ » . فأبتسم وأقول : « تعودت يا امي ان اخرج هكذا .. » وتكتم امي ثورتها وتكبت انفعالاتها .

وحين تجيء سيرتك في مجلسنا ، تعلن امي عن رأيها فيك ، فتقول وهي في ضيق شديد : « انه لا يصلح ان يكون رجلا ، ولا ان يكون زوجا ، ولا ان يكون اي شيء .. » وتصمت امي ، ثم تستطرد .. « لا بأس ان المكان اللائق به هو « التياترو » .. انه يصلح ان يكون راقصا في « تياترو » ! » . وأضحك لتهكم امي عليك ، فبينما انا اتصورك راهبا يحوطك الجلال والوقار برغم انفعالك وسلوكك الحاد ، وبرغم ما تعلنه لي من انك فنان متحرر .. بينما اتصدركهكذا أجد الناس يتصورونك راقصا في « تياترو » .. ولا تصلح لشيء غير هذا ! . وأعجب لهذا الاختلاف الكبير بين رأيي فيك وحكم الناس عليك .

وتمنيت لو كنت يا نبيل قاضيا بليغا حكيما في ساحة القضاء ، ترتدي ثوب الوقار .. وتمنيت ان اقول لامي : « ها هو ذا نبيل يا امي . ليس راقصا كما تقولين ، انه راهب ! .. » تمنيت يا نبيل هذا . تمنيت لو فعلت انت اي شيء ، حتى لا يحنق الناس عليك وينبذونك . تمنيت ان تفعل شيئا من اجل هذه الكلمة العملاقة التي تحاصرنا . اما انا ، فلا اتمنى شيئا سواك .. قد أحببتك كما انت .

كما انك لا تعجب صديقتي ثريا . انها تعجب لسر انجذابي اليك . وهي لا تألو جهدا في التلمظ بك والتعبير عن استيائها .

كثيرا ما حدثتها عن حبي لك عن حياتي التي أعيشها بك ، عن أحلامي وآمالي ، وعن أوقاتي السعيدة التي اقضيها معك .

ورغم انك لا تعجبها ، فهي تحنو علي ولا تخيب رجائي فيها ، فتدعي امام امي اننا نذاكر كل يوم معا ، لكنها لا تحبس ما تريد البوح به . فتقول لي : « ما بك يا سميرة وهذا الشاب ، انه متهور ولا يناسبك . انا لا الومك ابدا ، لكني أرجوك ان ان تقيدي علاقتك به » . فأهمس : « لا أقدر ، لا أقدر .. حاولت كثيرا ، وفشلت كثيرا » .

وتمنيت لو تراك ثريا في هدوئك واتزانك ، وأقول لها : « نبيل ليس بمتهور كما تدعين .. » . وبرغم حكم امي عليك ورأي ثريا فيك .. فاني أحبك كما انت .

الناس كلمة عملاقة تحيا في خاطري وتؤلم خافقي وتضنيه . أجد الناس يسبونني ويشتمونني ، بل لا ينسون كذلك ان يسبوك ويشتموك . لكن هذه الكلمة تذوب . ولا اجد بعد ذوبانها بقايا متجمدة . انها تنصهر عن آخرها وتكون سائلا دافئا هو انت . الناس عندي هم

فـراق

★

للحب أيـام قصار

والآن سار بك القطار

واظل وحدي في المدينة خائفا أترقب

كالطفل يترك في الظلام وحوله ما يرهب

أكذا يدور بنا الزمان ؟

ويمر ما كنا وكان ؟

دلفت الى الماضي أماني التي أملتها

عبرت كحلم حاضري فاذا انتبهت فقدتها

ما بين حيطان حزينه

تمضي سراديب المدينه

يا للغريب بها اذا ما فاته القلب الحنون

ينساب ظلا باهتا ان يبد تلفظه العيون

هبني أفر الى الدموع

من وحدتي بين الجموع

اذ ذاك دمعي لا يلبيني فأبقى في اكتئابي

أنأى بنأيك كل ما يسلي .. اذن يا عظم ما بي

أقضي النهار مضيعا

أرتاد ما ارتدنا معا

فاذا دجا ليلي مضيت لتحتويني حجرتي

سجنا يعذبني وقد كانت مسارح صبوتي

من بعد تحليق النسور

عانيت ظلمات الجحور

وحسوت بعد مباهج الروح التي ساقيتني

جرع الضنا ومرارة الحرمان اذ غادرتني

أحببتني حتى العباده

ومنحتني سر السعاده

واليوم ليس لدي من هذا سوى ذكرى غرام

أحيا بها حتى تعود فتلتقي أشواق عام

لكن أيام اللقاء

أغنت وجودي بالضياء

مهما تكاثفت السحائب في سماء فراقنا

فلقاؤنا شمس تبددها لحين لقائنا

الجزائر — جمال مرسي بدر

انت .. فأنت ناسي، ودنياي الرائعة الجميلة ، وعالمي الحقيقي . وانت أبي وأمي واخي واختي وصديقتي والناس جميعهم .

قد تسألني لماذا انا احبك ؟! . لكني لا اقدر على الايجاب ، فلا ادري لماذا أنجذب اليك واتشدق بك وبنبض عروقك ودفء كلماتك . هنالك شيء حاد يجذبني اليك ، شيء قد أراه في شفتيك ، وقد اراه في عينيك ، وقد أراه في جبهتك العريضة ، وقد اراه في ردائك ، لكني لا ادري كنهه .. لا ادري هذا الشيء الحاد ! . وانما ادري فقط اني احبك .. وادري أنك الناس جميعهم .

القاهرة — حسني سيد لبيب

ميشـال معـلوف

بقلم شكر الله الجر

***

هناك في مدينة (الغمائم الزرقـاء) ريو جنيرو ، وعلى اجمل شاطيء من شواطئها . يقوم قصر كالزنبقة البيضاء تجعدت ملامحه لطول عهده بالسنين ، ومـا زال واقفا يراقب مواكب العابرين امامه لعله يرى بينهم ذلك الشاعر الذي رفع قبابه . ويراقب المراكب المقبلة فـي عرض البحر لعل صاحبه عائد مع العائدين فيها ..

ولكن هيهات ان من بناه لن يعود .. لانه اصبح فـي منازل الخلد يعيش وراء الغيوم والنجوم يدغـدغ فـي مقاصير الجنة عرائس احلامه . أليس هو القائل :

تعالي نسير الى الشاطيء	نودع يا نفس مـن أزمعـوا
رحيلا ولـن يرجعـوا	تعالـي نلـوح للراحلـين
سيأتي زمـان بـه نقلـع	بزورقنـا مـاخرين العبـاب
الـى اربع جوهـا آهـل	بأطياف احلامنـا في القبـاب

اجل لقد ذهب الشاعر الى حيث يجتمع بأحلامـه ولم يبق له من أثر على الارض سوى ذلك البناء الابيض المستطيل تعكس الشمس ظله على الشاطيء وبقية مـن ذكريات تطوف بزوايا القصر وتتهادى في ظلال حديقته . ولعله القصر الوحيد الذي بقيت له حديقته بين ناطحات السحاب من حوله . فهل يعلم سكانه اليوم ان الذي بناه على تلك الهندسة الشرقية كان شاعرا من شعراء الارز . بسم له الحظ في غيبوبة من الدهر . فكان له ذلك القصر البديع تجبل عرائس الخيال باناملها الوردية طينه وتزخرف جدرانه وتنسج الستائر المخملية والحريرية لنوافذه وابـوابـه ..

ويشهد الله اني ما وقفت على شاطيء « كوباكابانا » مـرة الا شعرت بيد تتشبث بأذيالي وتقودني الى وقفة طويلة امام قصرين عزيزين ، هما قصر «كونتيننتال» حيث كان يسكن ميشال معلوف . وقصر « بوتنجـي » حيث كان يسكن اخي عقل . وكم لي في ظلال القصريـن من ذكريات لذيذة حولها مرور الليالي عليها الى مرارة في القلب ودمعة في العين .

كان الشاعران عقل وميشال صديقين حميمين ومتجاورين مكانا ، فكانت لهما مهرجانات حافلة بالمسرات على ذلك الشاطيء قوامها الادب والسياسة والشـعـر . وكنت أطل عليهما في عشيات سادرة هنيئة لأحتسـي وأياهما من خمرة الشعر الذها واشهاها . ولا ازال اذكر ونحن في مجلس من مجالسنا الانيسة اذ دخلت علينـا سيدة شقراء كان لها على صديقنا ميشال دالة الجمـال وصلة الجوار . وراحت تشاطرنا زهوة الحديث ونكهة المجلس ثم عن لها ان تستبدل اسم «بالاسيو كونتيننتال» وهو القصر الذي يقطنه الصديق ميشال بأسم « ليريـو برانكو » ومعناه (الزنبقة البيضاء) نظرا لشكله الطويـل وبياض لونه فصفقنا لهـا اعجابا بالتسمية الشعريـة اللطيفة . ومنذ ذلك الحين اتخذ البناء الجميل اسـم الزنبقة البيضاء ثم اطلقنا بعدئذ على البناء الفخم الـذي كان اخي عقل يشغل شقة فيه بقصر « الحمام الزاجل » انسجاما مع ساكناته الحسان وجلهن من شهيرات المغنيات والراقصات في مسارح العاصمة الليلية .

انها لذكريات حلوة وحزينة معا ما برحت تراود نفسي على بعد ما بيني وبينها . وما كنا لنجهل في تلك الفترة من العمر ان دوام حال من المحال وان الحياة على خبثها وصغارها لا بد ان تتنكر لنا في يوم من الايـام فكنا نعتصر من خلها خمرا ومن مرها شهدا ومن كدرتها صفـاء .

قالت لي سيدة ايطالية مثقفة وهي ممن نهلن مـن حنان الشاعر معلوف ومن عطفه ومن جيبه ايضا : « ان في عيني هذا الرجل بريقا كئيبا ينقلني الى عالم غريب »

وهذا ما كنت اقوله بيني وبين نفسي عندما كنت أدمن النظر في عينيه او امعن الفكر في شعره لا سيمـا قصيدته « الخريف في جنائن فرساي » ولا احسـب ان شاعرا مهما بلغت دقة احساسه استطاع ان يلبس شعره من وحشة الخريف ما ألبس ميشال معلوف قصيدته تلك من احاسيس الخريف في جنائن فرساي . وكأن الخريف نفسه هناك كـان ينتظر ان يطل عليه شـاعر له رقـة « لامرتين » في شعره لينقل الى قوافيه هواجس نفسـه وكآبة ايامه . فاذا نحن امام مقاطع من الشعر هي اقرب الى اناشيد المتصوفين منها الى شعر الوصف والحنين قـــال :

يا سحابة راكضـة في الفضـاء	مجدة في السير نحـو المغيب
ناشدتـك اللـه تـرى للفنـاء	ذاهبـة ام للرجـوع القريـب

ما الطف الظل الذي تنشريـن
أواه لو انـه
بـاق ولكنـه
سار مع السائرين ..

في الغاب لا يسمع غير الحفيـف	وغـير شـدو الطائـر النـازح
تفـرق الشمـل وعاد الخريـف	مـا اقرب اليوم الـى البـارح

يا ليتنـي اعلم ايـن النوى
وايـن ريـح الجنـوب
تحمـل اوراق غصن ذوى علـى جناح الغروب

اكتفي من قصيدة الشاعر بهذين المقطعين وفيهمـا صورة عن خريف فرساي وعن خريف نفسه الدائم .

عهد مضى

راح عهد الصبا وعهد التصابي ... وتلاشى حلم الهوى والشباب
بين هم وغربة وانشغال ... لهف نفسي ما حاق من أسباب
كان حلما بين الخيال كبيرا ... فتوارى في الافق مثل السراب
ثم أمسى بعد المدى ذكريات ... عاصفات ، تقتات من أعصابي
كيف ولى ذاك الزمان بعيدا ... في مدار يمضي بدون اياب
كل عام يزيد في العمر ، نقص ... يتجلى في المرء بعد الحساب
بعد حين من الزمان برأسي ... أومض البرق من خلال سحاب
أبعد الكأس يا نديم برفق ... لا أريد الهموم بعد الشراب
ربما أشغل المشيب العذارى ... بصدود ، يزيد في أتعابي

الكوت ـ العراق ... كاظم محمد حسين

لمحة عن حياته : فارق ميشال معلوف وادي العرائش في زحلة وهو في مطلع الشباب وذلك قبل الحرب الكونية الاولى ملتحقا باخويه جورج وقيصر معلوف من كبار التجار والصناعيين في مدينة سان باولو . فوجد كل اسباب النجاح متوفرة له بفضل اخويه . فانصرف بدوره الى التجارة ثم الى الصناعة يحتلب ضرعها فوطأ له الزمان اكناف النعمة عن طريقها . وراح يحلق بجناحين جناح الثروة وجناح العافية والشباب ، الى ان لمع اسمه كشاعر ذواقة مقل ولكنه مجيد ثم أقمناه رئيسا « للعصبة الاندلسية » وهي الجامعة الادبية التي انضوى تحت لوائها فحول أدباء العربية في البرازيل وكان لصاحب هذا المقال جهوده الفعالة في تأسيسها والترويج لها على صفحات مجلته « اندلس الجديدة » التي استمرت عامين كاملين تنقل الى قرائها نفحات ادباء العصبة وشعرائها حتى تهيأ للعصبة اصدار مجلة خاصة تحمل اسمها وانطلقت لها شهرة في الاقطار العربية ما زال صداها يتردد حتى اليوم .

وطابت لميشال الحياة في جوه الادبي الجديد . ولذت مجالس السمر في داره لابناء الفن والادب وخاصة الشعراء .

وبعد سنوات انتقل الى عاصمة الاتحاد « ريو جنيرو » ليشرف بنفسه على ذلك البناء الذي شيده على شاطئها . ولما كنت واخي عقل من سكانها كثرت اجتماعاتنا به وحفلت مجالسنا بالرائع والجميل من صور الحياة .

ثم حنت نفس صديقنا الى مدينة الشعر زحلة والى ذكريات ايام الصبا فيها وقد طال بعده عنها وفي ذلك يقول :

أمذكري بأحبتي وبلادي ... رفقا فدمعي منذر بنفاد
طالت سنون في البعاد ظننتها ... خلوا من الاحاد والاعياد
أواه من ذكرى الاحبة والحمى ... ومنازل الآباء والاجداد
ما كنت احسب ان بعدي عنهم ... بعد بلا أمل ولا ميعاد

ومن غزله الرقيق هذه الابيات :

ما الغيد الا بسمات الضحى ... لاحت لعيني العاشق المجهد
يتنقل القلب بجناتها ... من مورد عذب الى مورد
لولا عيون الغيد ما شاقنا ... مجد ولم نطمح الى سؤدد

ومنها :

من لي بعين ان انم شاكيا ... الام جسم مضنك تسهد

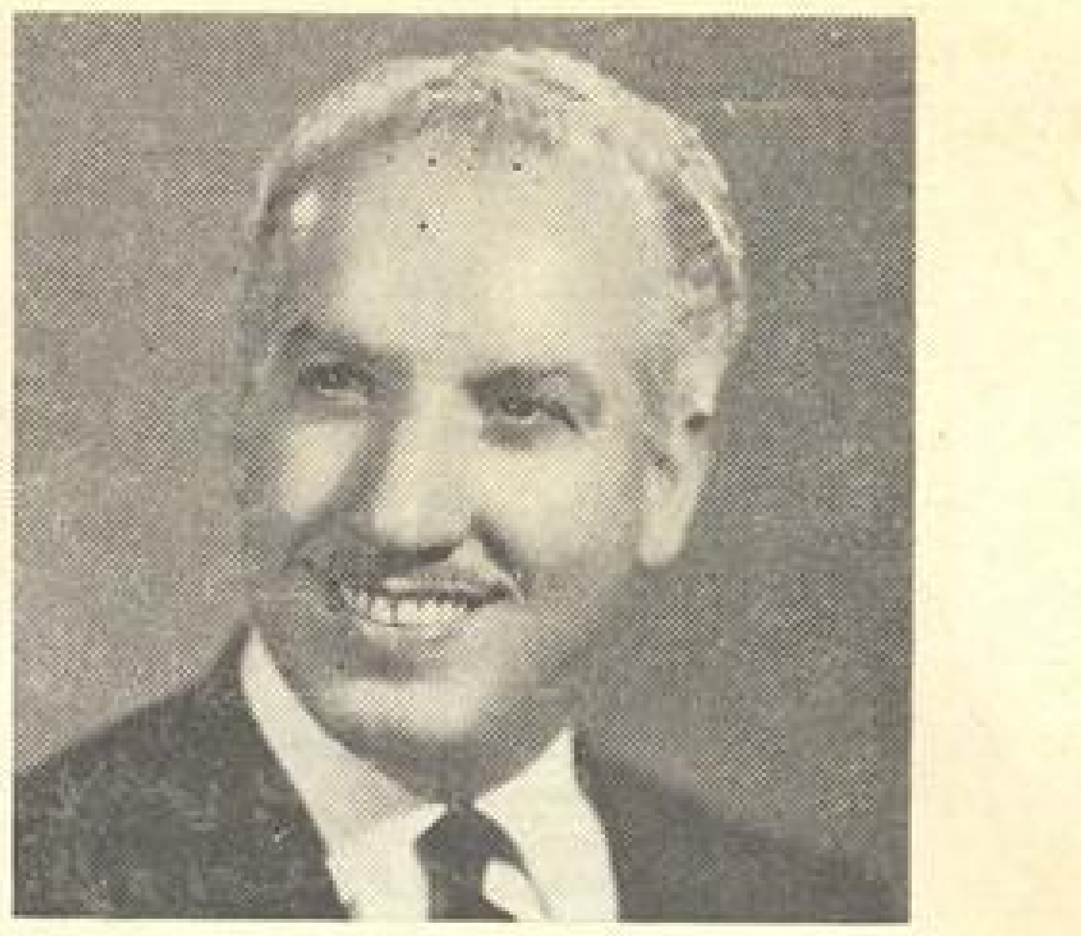
وما ان عاد رحمه الله الى بلدته واختار لنفسه العين الحنونة التي تسهر على آلام جسمه الناحل ، حتى سارع اليه ملاك الموت فقطف انفاسه الطاهرة ولطم بريش جناحه تلك العين الساهرة فأدمعها وادماها كما ادمى قلوب الكثيرين من صحبه ومريديه وفي جملتهم هذا القلب الذي يتحدث عنه الان بلهفة الصديق المشتاق متذكرا تلك العشيات الانيسة وليالي السمر الطلية معه على تلك الشواطىء السحرية من مدينة الاحلام ريو جنيرو .

ومن مباهج الحياة ومآسيها ان تبقى على هذه الضفة من بحيرة الوجود لنستعيد ذكرياتنا عن اولئك المحبين وقد رحلوا عنا وخلفونا نردد احاديثهم على مسامع السنين ونطوف باكوابهم على الشاربين ..

ومن قصيدة لي في رثائه لما اتصل بي نعيه من لبنان وانا في البرازيل :

دفنت بارض طالما اشتقت تربها ... فحققت بعدالموت بعض منى النفس
على حين لا ادري مكان منيتي ... ولا اي عين سوف تبكي على رمسي

جبيل ـ لبنان ... شكر الله الجر



ناجي جواد

لسان الدين ابن الخطيب

بقلم المحامي ناجي جواد

* * *

ويوما كان لسان الدين ابن الخطيب اعظم شخصية ظهرت في الاندلس وكانت لامعة ذكية تميزت بعبقرية متعددة الجوانب ، فهو طبيب وفيلسوف ، وهو كاتب وشاعر من الطراز الاول ، ومؤرخ بارع ووزير قوي الادراك وسياسي ثاقب النظر .

يعود نسبه الى القبائل القحطانية اليمنية التي وفدت على الاندلس بعد الفتح العربي .. واستقرت في قرطبة ، ثم رحلت الى طليطلة ، ولما شعرت بالخطر المحدق بهذه المدينة لانها غدت مطمع الاسبان يكيدون لها ويخططون الخطط ليستولوا عليها ، عندها غادرتها الاسرة الى مدينة (لوشة) التي اصبحت مسقط رأس لسان الدين عام ١٣١٣ م .

وحينما زرت مدينة (لوشة) ورحت اطوف في ارجائها .. اخذت الذكريات بأحداثها الجسام تنهال على فكري ، وكانت شخصية كاتبها العبقري وشاعرها الالمعي لسان الدين تغمر وجداني وكلمات موشحاته تتراقص على طرف لساني ، وانا اجوب دروبها الساحرة وانعطف بأزقتها الضيقة ، فرأيتها مدينة مشرقة عامرة ، تتجه احياؤها الى الربوة العالية ، والوسطى تستقر في بطن الوادي وجلها ضيقة الدروب والمسالك ، على الطريقة الاندلسية العربية الا شارعها الرئيسي الطويل العريض الذي يقودنا الى مدينة (اشبيلية) وهنا تنتشر المقاهي والمتاجر المهمة والفنادق الفخمة .

وكما حدثنا ابن خلدون .. أن ابن الخطيب نشأ في غرناطة وتلقى بها دراسته ، ومع انه استقر فيها منذ حداثته الا انه لم ينس قط مسقط راسه ومرتع طفولته (لوشة) فكان لها في قلبه منزلة وفي ذكرياته نغم ، فكثيرا ما تغنى بها في اشعاره .

وتأثر ابن الخطيب منذ فتوته بالافق السلطاني الذي عاش والده ابو عبد الله بن الخطيب في كنفه ، ولما توفي والده قتيلا في موقعة (طريف) سنحت الفرصة المرجوة لابن الخطيب حين دعي للخدمة مكان ابيه ، وكان يومئذ فتى في الثامنة والعشرين ، وتولى امانة السر لاستاذه الرئيس ابي الحسن الجياب .

وهنا تلقى ابن الخطيب على يد استاذه ابن الجياب أرفع اساليب النثر والنظم ، وظهرت براعته في تدبيج الرسائل السلطانية ، ولما توفي ابن الجياب بالطاعون الجارف خلفه ابن الخطيب في الوزارة كما تقلد ديوان الانشاء للسلطان ابي الحجاج يوسف .. وراح السلطان يغدق عليه عطفه وآثره بثقته وجعله كاتب سره ولسانه في المكاتبات السلطانية ، حيث صدرت له طائفة من اروع الرسائل الملوكية التي نعتها ابن خلدون (بالغرائب) لروعتها وبراعة كاتبها وقد جمع ابن الخطيب الكثير منها في كتابه «ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب» كما نقل المقري في كتابه « نفح الطيب » الكثير من تلك الرسائل الذكية .

ولما قتل السلطان فخلفه في الملك ولده محمد الغني بالله ، استمر ابن الخطيب في منصبه، وارسله السلطان الجديد سفيرا الى السلطان ابي عنان المريني ملك المغرب ، يستنصره ويطلب عونه على مقاومة ملك قشتالة، وليؤكد بينهما عهد الصداقة جريا على سنة اسلافه ملوك بني الاحمر فاستقبله السلطان بحفاوة بالغة ، وانشد ابن الخطيب بين يديه قصيدته المشهورة :

خليفة الله ساعد القدر ... علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته ... ما ليس يستطيع دفعه البشر
والناس طرا بارض أندلس ... لولاك ما اوطنوا ولا عمروا
وغاية الامر انه وطن ... في غير علياك ما له وطر

فتأثر السلطان لانشاده ، ووعد باجابة مطلبه « فنجح السعي واثمر الجهد وصدقت المخيلة » هذا ما قاله ابن الخطيب عن سفارته .

وبهذا النضوج والذكاء استأثر ابن الخطيب بثقة السلطان ، فأسبغ عليه لقب ذي الوزارتين ، لجمعه بين الكتابة والوزارة .

ولما نشبت الثورة في غرناطة ، وبها فقد الغني بالله ملكه ، حيث انتهز المتآمرون فرصة ابتعاده عن دار ملكه وسكن ذات مساء قصر « جنة العريف » الواقع شمال شرقي قصر الحمراء ، فهاجموا قلعة الحمراء ، ونادوا بالامير اسماعيل اخي السلطان ملكا ، وعندها شعر السلطان محمد بعبث المقاومة وفر الى « وادي آش » .

وهنا الفى ابن الخطيب نفسه بين عشية وضحاها مسلوب الحظوة والمنصب ، بعد ان سطع نجمه وعاش في

ترف وبذخ يتناسبان ومركزه الرفيع وعلمه الغزير ، قضاها بين قصره الفخم بالحمراء وقصره الرائع الذي شيده في ضاحية « عين الدمع » التي اشتهرت بروعة جنانها وجمال حدائقها ، فكانت مسكن الوجهاء وذوي الحظوظ والثراء ...

الا ان محنة ابن الخطيب لم تطل فسرعان ما جاءه الانقاذ من الضفة الاخرى ، حيث كانت تربط السلطان محمد الغني بالله وشائج صداقة ومودة مع ملك المغرب ابي سالم الذي لجأ الى الغني بالله يوم تغلب عليه اخوه ابو عنان ونفاه الى الاندلس ، فيومها اكرم الغني مثواه ، وانزله منزلة الضيف العزيز .

واليوم فقد الغني بالله عرشه ، وانقلبت الاحداث ضده ..! وهذه سنة الحياة .. وطبيعة الايام « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

فاستجاب السلطان لنداء الضمير وصمم على الوفاء للصديق وعزم على رد الجميل ، فأرسل في الحال سفيره الى غرناطة يسعى لدى حكومتها الجديدة بالسماح للسلطان المخلوع ووزيره المعتقل ابن الخطيب بالسفر الى المغرب .

فانصاع السلطان لنداء الضمير، وصمم على الوفاء للصديق حفظا للمودة واستبقاء للنجدة التي انقذت الاندلس مرارا من جيوش الاسبان .

سافر الغني بالله مع وزيره القديم ابن الخطيب ونفر كبير من اهله وصحبه الى « فاس » فاستقبلهم السلطان ابو سالم اجمل استقبال واحتفل بقدومهم في يوم مشهود فانشده ابن الخطيب قصيدة من اروع الشعر وابلغه .

سلا هل لديها من مخبر ذكر	**وهل أعشب الوادي ونم به الزهر**
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى	**باكنافها والعيش فينان مخضر**
وجوي الذي ربى جناحي وكره	**فها انا ذا ما لي جناح ولا وكر**
فصدناك يا خير الملوك على النوى	**لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر**
كففنا بك الايام عن غلوائها	**وقد رأينا منها التعسف والكبر**
وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى	**ولذنا بذاك العزم فانهزم الشر**
ولما أتينا البحر يرهب موجه	**ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر**

ومن طريف ما تذكره الرواية ، ان المؤرخ الكبير والعلامة الجليل ابن خلدون كان من شهود هذا الحفل ، وبه التقى ابن الخطيب بأبن خلدون ، وكان لهذا اللقاء البديع بين نابغتين اثره ونتائجه في حياة كل منهما ، حيث اثر وتأثر كل بصاحبه ، وقد كان كل منهما يسمع عن صاحبه ويتوق الى لقائه ، حتى جمعت بينهما الصدف وقربتهما الاحداث .

والغريب انهما كانا متقاربين في اشياء كثيرة ادبية ومادية حيث كان كلاهما استاذ عصره وقطره كما كان كلاهما شخصية بارزة في حوادث زمانه ، يتصل بها بأوثق صلة ، ويخوض غمار احداثها مترقبا غنمها وغرمها، فقد كان كلاهما وزيرا ومستشارا لامراء عصره محرضا لهم او عليهم .

فابن خلدون كان يشغل في دول المغرب نفس المركز الذي يشغله ابن الخطيب في دول الاندلس ، فاستأثر ابن خلدون في المغرب منفردا بزعامة التفكير والكتابة ، كما استأثر ابن الخطيب منفردا بهما في الاندلس .

فروابط النسب الادبية والعلمية والسياسية شدت اواصر الصداقة والمحبة بين العبقريين في بداية اللقاءات، ولما دب دبيب الغيرة والتنافس تغيرت الطباع وتفرق الرجلان ولكن رغم ذلك بقي كل منهما يحترم صاحبه ، ويكبر مواهبه حتى جرهم هذا الاعجاب وذاك الاحترام الى ان يترجم كلا منهما الاخر وذكره بما ينم عن خالص التقدير والاجلال ، كما تبادلا طائفة طيبة من الرسائل الشخصية والسياسية ، تعتبر من ابدع نماذج النثر في ادب الاخوانيات ، واحفلها بمعاني التجربة والحكمة .

وكان يومها سلطان غرناطة المخلوع الغني بالله محمد بن الاحمر في مدينة فاس يترقب الحوادث ويطمح الى استرداد ملكه .. والايام حبلى بالمفارقات والمفاجآت ... تولد غرائب الاحداث ما لم يحسب لها العاقل اي حساب .

فقد وقعت ثورة في غرناطة قتل فيها السلطان اسماعيل على يد الرئيس ابي سعيد فتهيأت الفرصة للسلطان المخلوع فتوجه الى الاندلس ، واستولى على « مالقة » وسار مع صحبه الى غرناطة فاستولى عليها وفر الرئيس ابو سعيد الى « قشتالة » .

وما كاد السلطان الغني بالله يجلس من جديد على عرشه حتى كتب الى وزيره ابن الخطيب المنفي في المغرب، رسالة رقيقة رائقة ، ينعته بها بأرفع النعوت ويبشره بنجاحه ويطلب عودته ليتقلد منصبه .

فنزل ابن الخطيب عند رغبة السلطان ، وجاز الى الاندلس وبرفقته اسرة السلطان وولده ، ولما وصل الى غرناطة اصدر السلطان (ظهيرا) اي (مرسوما) باعادة ابن الخطيب الى منصبه .

وفي تلك الفترة وفد صديقه ابن خلدون على الاندلس ، بعد ان فقد حظوته ونفوذه في بلاط فاس ، واضطرته الاحداث واعاصير السياسة وتوالي الثورات الى مغادرة البلاد ، وابن خلدون يعلم بأنه قد اسدى الى السلطان الغني بالله كثيرا من الخدمات اثناء اقامته بفاس، وكما توقع فقد استقبله السلطان استقبالا حافلا واغدق عليه عطفه وصلاته وجعله من خاصته ، حتى بعث به سفيرا الى ملك قشتالة ، فأدى ابن خلدون سفارته خير اداء وفي كثير من التوفيق والسداد لما كان يتمتع به من علمية وذكاء وقاد .

كما استقبله صديقه ابن الخطيب بمنتهى المودة والاخاء ولكن لما حظي بهذه المنزلة وذاك العطاء غص ابن الخطيب وراح يوغر صدر السلطان عليه وعندما شعر ابن

خلدون بتحول السلطان عنه .. غادر الاندلس وعاد الى المغرب ليخوض غمار حوادثها .

والواقع أن ابن الخطيب في هذه المرحلة الوزارية اصبح يتمتع بالسلطان المطلق والنفوذ العريض ، وامسى حاكما بأمره فاذكى بذلك سخط منافسيه ، واثار بغض حاسديه .

ولما تعاظم استبداده واستسلم لنزواته وأودع ثقته بالايام .. التي لا تستقر على حال ولا يدوم فوقها عز ولا مال .. بدات نار الظنون تسري في مخيلة السلطان تذكيها السنة الحساد والمنافسين الذين راحوا يوحون له بأن استبداد ابن الخطيب وسعة ثرائه وعرض جاهه ، فيه الكثير من الاعتداء على سلطانه والتجاوز على سيادته .

وطبعا تحسس ابن الخطيب الشاعر المرهف والاديب الذكي بأن السلطان بدأ يتأثر بسعاية الحساد ، ويتغير بكلام الوشاة وان حظه بدأ يتخبط ، وجدته بدأت تتعثر .

والغريب في الامر ما علمه من ان تلميذه ومعاونه في الوزارة محمد بن يوسف بن زمرك كان اول الساعين ضده ، واحقد حساده واخطر انداده .. فتزعم خصومته السياسية ، بينما كان القاضي ابو الحسن النباهي يتزعم حملة اشد خطورة وخطرا ، حيث اتهم ابن الخطيب بالالحاد مستندا على ما ورد في كتبه .

وادرك ابن الخطيب بفطنته ، ان السعادية اثمرت ، وان الايام تقلبت ، وان الصداقة هزلت ، عندها صمم على مغادرة الاندلس واللجوء الى سلطان المغرب .

فاستأذن السلطان بالسفر الى الثغور بحجة تفقدها .. فأذن له بذلك ، وسار بصحبة ولده وجماعة من الفرسان ولما وصلوا جبل طارق استقبله قائدها بقواته المرابطة حسب اوامر سلطان المغرب ، وجهزت السفن اللازمة لنقله ومن معه الى المغرب وركب ابن الخطيب البحر الى مدينة سبتة .

وقبل ان يغادر جبل طارق بعث برسالة مؤثرة الى سلطانه ، يودعه فيها ويوضح له اسباب هجرته وسر تصرفه ويلتمس رعايته لاسرته وولده ويطلب مغفرته وعفوه وقد استهلها ابن الخطيب :

بانوا فمن كان باكيا يبكي   هذه ركاب السرى بلا شك

ثم يبدؤها بقوله : « مولاي .. كان الله لكم ، وتولى امركم : اسلم عليكم سلام الوداع وادعو الله في تيسير اللقاء والاجتماع ، من بعد التفرق والانصداع واقر لديكم ان الانسان اسير الاقدار ، مسلوب الاختيار ، متقلب في حكم الخواطر والافكار ، وانه لا بد لكل اول من آخر .. »

سار ابن الخطيب من (سبتة) الى (تلمسان) حيث كان بلاط المغرب ، وهناك استقبله السلطان اجمل استقبال وارسل في الحال سفيرا الى سلطان غرناطة يسعى لاستقدام اسرة الوزير المهاجر فأتى بها معززة مكرمة .

والغريب ان هذين التشرد والتغرب لم يشفيا غليل حساده وخصومه حيث أتخذوا من فراره وهجرته ذريعة للاطاحة بمجده الادبي ، وسلب ما حظى به من مقام سياسي لدى سلطانه ، فقد غاظهم افلاته ونجاته ونجاحه .. فأخذوا يضاعفون نشاطهم العدائي ضده ويجددون لفظهم الدعائي حوله كي يطمسوا معالم فضله وأدبه ومقامه ، عندها أخذوا يؤلون ما جاء في كتبه ورسائله وفق مقاصدهم ويفسروها حسب اهوائهم ، فرموه بالزندقة واتهموه بالالحاد ...!

وطبعا كان تلميذه وخلفه في الوزارة محمد بن زمرك اكبر مروج لهذه الدعاية المغرضة ، كما تولى صياغة قرار الاتهام وتأويل معاني الكلام القاضي ابو الحسن النباهي ، حيث افتى بحرق كتبه .. وبالفعل تم احراقها في ساحة غرناطة .

ومن المؤلم حقا ان ابن الخطيب هو الذي رشح النباهي لدى السلطان ليكون قاضيا للجماعة ، واستصدر (ظهيرا) مرسوما لتعيينه ، نعته فيه بأرفع النعوت ووصفه بأسمى الصفات ، وعندما الف ابن الخطيب كتابه « الاحاطة » ظفر النباهي منه بحظ وافر من التقدير والثناء ..!

ومما ضاعف احزان ابن الخطيب ان يعلم بأن القاضي النباهي هذا قد انحاز الى تلميذه ابن زمرك ، حينما لاحظ تقلب الطقس وتقلص ظل نفوذ ابن الخطيب حتى امسى في طليعة خصومه ، ومن اشد الساعين لتحطيمه ..

فرغم تشرد ابن الخطيب وحرق كتبه لم تطف نار الحسد المتأججة في قلب القاضي ، بل سعى لدى السلطان فصادق على قرار الحكم بادانته بالالحاد والزندقة .. ثم ارسل رسله بهذا الحكم الى سلطان المغرب يطالبه بتنفيذ حكم الشرع وهو انزال عقوبة الاعدام به .. فغضب سلطان المغرب لهذا القرار المجحف وعنف رسل الاندلس وراح يضاعف اكرام ابن الخطيب .

ولكن الايام اذا ما راق لها ان تعبث ، والحظوظ اذا ما حلى لها أن تعبس ، عندها لا تشفع سمو المواهب ولن تجدي راجحات العقول نفعا .. فنرى في هذا الموقف الدقيق والوقت العصيب لمحنة ابن الخطيب ، يأبى الموت الا ان يتصدى لسلطان المغرب .. وبعده تتمخض الاحداث عن انقلاب اقتحم الثوار مدينة فاس وخلعوا الملك الطفل ونادوا بالامير احمد ملكا على عرش المغرب .

فبادر السلطان احمد بالقبض على ابن الخطيب تنفيذا لعهد قطعه لسلطان غرناطة ، الذي بات يحقد على وزيره السابق ، فأرسل السلطان وزيره ابن زمرك الى المغرب ، ليعمل على تنفيذ حكم الشرع .. الذي صاغه القاضي النباهي في قرار الاتهام ..

عندها عقد السلطان احمد مجلسا من رجال الدولة واهل الشورى استدعى اليه ابن الخطيب ليواجه التهم

الركب والدرب والسر

الركب ماض في المسير / لـم يثنه لفـح الهجير
والعـين ترقـب خطوهـا / تخشى الوقوف على الشفير
والافـق يحجبه انكسار / والـدرب مجهـول الضمير
والقلـب يعـوزه الرجـاء / وسبيلـه أبـدا عسيـر

عرضا أخـي كنـا هنـا / عرضا وجدنـا فـي الطريق
عرضـا عـرفنـا أننـا / ظلان فـي درب عتيـق
وغـدا سنمضي يـا أخي / والشـك يمضي والطريـق
فالصـوت والخطـوات أو / هـام بأجفـان الفريـق

وكـلا الرفيقـين ارتمـى / في الدرب يقلقه المصير
يجناحـه فيـض الـرؤى / وغريمـه سـر كبيـر
فانـا وأنـت السائـران / والعمـر محدود قصير
والسـر أنـا الباقيـا / ن ، وغيرنـا وهـم غريـر

دمشق — سلافة العامري

المنسوبة اليه ، واهمها الالحاد والزندقة .. ويومها عنف ابن الخطيب وعذب ، بدلا من ان يناقش ، ويحاسب .. ولما اقتيد الى سجنه دس عليهمن قتلوه خنقا ..! وفي الغد اخذت جثته لتضرم فيها النار ..! ثم دفنت في ضاحية فـاس .

ويسجل ابن خلدون هذه المأساة في مقدمته، فيشير الى صديقه ابن الخطيب بقوله « الهالك لهذا العهد شهيدا بسعاية اعدائه .. »

ثم ينقل الينا ابياتا نظمها ابن الخطيب في سجنه يترقب مصيره حيث يقول :

بعدنا وان حاورتنـا البيـوت / وجئنـا بوعظ ونحـن صمـوت
وكنـا عظامـا فصرنـا عظامـا / وكنـا نقـوت فهـا نحـن قـوت
وكنا شموس سـماء العـلا / غربـن فناحـت عليهـا البيـوت
فكم خذلت ذا الحمـام الضبـا / وذو البخت كم جدلتـه البخـوت
وكم سبق القـبر في خرقـة / فتى ملئت مـن كسـاه التخـوت
فقل للعدا ذهب ابـن الخطيـ / ـب وفات ومـن ذا الذي لا يفوت
فمن كـان يفـرح منكم لـه / فقل يفرح اليـوم من لا يمـوت

وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير ضحية الجهل والتعصب الاعمى والاحقاد السياسية الوضيعة والحسد الاسود والطمع الدنيوي الدنيء .

ومن يطالع الوصية البليغة التي وجهها ابن الخطيب لاولاده ، حيث ينصحهم فيها بعدم الاسراف في اقتناء العقار بالاندلس وان لا يطمئنوا الى يد الحدثان .. يجد فيها الدليل الواضح على سعة تفهمه للامور ، وما يتمتع به من قوة الادراك للخطر المريب الذي يحدق بموطنه العزيز ، ناستمع اليه حيث يقول : « ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه اجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعيا لنفسه ، ان يتغلب العدو على بلده من الافتضاح والافتقار ، ومعوقا عن الانتقال امام النوب الثقال ، واذا كان رزق العبد على المولى فالاجمال في الطلب اولى » .

ولا يفوتنا ان ابن الخطيب كان ثاقب النظر ، فقد ادرك من سير الحوادث في الاندلس ، واستقرأ حجب المستقبل من الماضي القريب ، وتوالي الفتن وتعاقب الثورات وتشعب الاراء وتقلب الاهواء ، النهاية المحتومة لهذا الوطن الفني الذي اضحى يفتقر الى رجاحة العقل وغنى النفس والقناعة والاخلاص .

لذا راح يهيب بقومه الى توحيد الكلمة ، وتجنب العثرات ، والحد من الجشع والشهوات ، والابتعاد عن المطامع والنزوات والكف عن التحاسد والمشاحنات ، حتى بات يستنجد باخوانه فيما وراء البحار ليبادروا الى نصرة وطنه وغوثه من الطامعين الاعداء .

ولابن الخطيب في ذلك رسائل كثيرة مؤثرة يوجهها الى قومه وبني وطنه والى ملوك المغرب ممن يتوسم فيه النخوة والنجدة ، وكان يوضح لهم المصير المحزن الذي ينتظر امته ويلفت نظرهم الى الخطر المحدق بوطنه ...! وكلها رسائل تمتاز بروعة الاسلوب وسعة الافق وخصب القريحة وعمق التجربة .

بغداد — ناجي جواد

وتسألني صديقاتي

لو ان الشوق في قلبي حكى عن سر اعماقي
لسجل باللهيب لظى وأحرق كل أوراقي

فهل في عالم الاشواق من بالصبر عاناها
كما عانيت يا قلبي ونار الحب تصلاها

أراه فتهرب الكلمات لا أحكي له شيا
ولو اني نطقت بها لرويت الهوى ريا

ولو اني قضيت العمر أحكي سر أسراري
لضاع العمر من عمري وما أوفى بأخباري

ويلمح سر ما أخفي ورغم الصمت يدريه
وفي عينيه كل حنان هذا الكون يبديه

اذا ما ضمنا يوما مكان نلتقي فيه
فلمسة كفه بالود ترخيني وترخيه

قضيت العمر حالمة وراحت كل أيامي
به جاءت مقاديري به جددت أحلامي

وكان لقاؤنا قدرا فما أحلى المقادير
وقد رقت نسيمات فأنستني الاعاصير

يربت في حنان الحب قلبا شفه الوجد
ويبعث من حنين القلب حبا ما له حد

وتسألني صديقاتي عن اسمك والهوى العاتي
وطي جوانحي سر تضل به عباراتي

أقول لهن في وله هو الدنيا وما فيها
ونور قد سرى أملا يبدد لي دياجيها

هو الحب الذي ما زال في سمع الهوى نغما
هو السر الذي ما زال في عمر النوى ألما

فما عرف الجوى قلبي ولا الاشواق عاناها
الى ان ضمنا قدر عرفت به ضحاياها

هواه هوى يؤرقني بليل السهد يطويني
ولكني أحب هواه يحرقني ويضنيني

ولو طافت قلوب الناس حولي تبتغي حبي
لقلت لهم خلقت له وليس لغيره قلبي

تبادلنا الهوى عطرا يؤرج جو دنيانا
واعطينا الهوى قلبين أشواقا وألحانا

فان طال النوى وشجاه يشغلني خيال لقاه
وان عز اللقا وسناه يحيى القلب في ذكراه

مصر الجديدة

روحية القليني

أشباح المدينة

بقلم رياض نصور

قصة

رزق « ميهوب » طفلة بعد زواج سبع سنوات مجدبة . عمت الفرحة ، ورقص الجيران في القرية الوادعة التي تربض في كنف الجبل ، على انغام المزمار، اصطفت حلقات الدبكة، وردد الوادي صدى الاغنيات . ذبح خاروفا على قبر الولي الصالح وأكل واطعم الجميع . لقد نال كل ما يرجو ويأمل . لقد حصل على ولد من صلبه في يوم رأى به نجم السعد يعتلي حضن السماء ويتوهج بنور ما رأى مثله في حياته .

وشبت الصغيرة عن الطوق وترعرعت في كنف اب محب شغوف . وراقب الاب نموها كما كان يراقب شتلات الدخان وهي تنمو في بستان الآغا . انها تكبر . ترتفع يوما عن يوم ، وتعلو ويكتنز جسمها . الدماء تمور في وجنتيها وينهد صدرها .

وتطلب « جمانة » وبالحاح من والدها فستانا احمر رأت ابنة المختار تلبس مثله . يعدها بالفستان وتمضي السنة دون ان يتمكن من الوفاء بالوعد . ترى ماذا يفعل ؟ ويفكر بالحل ! قال لزوجته : سنجمع بيض الدجاج في السل الكبير ، وعندما يقترب عيد الفصح سأسافر الى المدينة لابيع البيض ، وسأحمل معي عند عودتي الفستان الاحمر . وتتهادى « جمانة » في الغرفة متظاهرة وكأنها ترتدي الفستان الجديد ، وبغنج ودلال تقبل وجنة امها ورأس ابيها . انها ترقص وتتلوى . تغني وكأنها ملكت الدنيا . كيف لا وعما قريب سترتدي فستانا لم تلبس مثله الا ابنة المختار . وظلت العائلة على الوعد . لم تأكل بيضة واحدة لتحقق للفتاة الحلوة ما تبتغيه .

سيفي « ميهوب » لابنته بالوعد . وسينزل الى المدينة للمرة الرابعة . فقد سافر اول مرة لاحضار دبلة الزواج مع بعض الاصدقاء . وفي المرتين الثانية والثالثة صحبه الآغا لتسليم محصول الدخان لدائرة التبغ . اما هذه المرة فسيسافر وحده حاملا سل البيض الكبير ليشتري فستانا احمر لوحيدته .

ارتدى « ميهوب » قمبازه المقلم و (الجاكيتة) السوداء التي اشتراها من بائع العتيق الذي يزور القرية في المواسم والاعياد. وهو لم يلبسها الا قليلا خوفا من ان تذهب جدتها . واعتمر عقاله المفضض ثم حمل عصاه رفيقته وسلاحه أيام الشدة . ثم قبل ابنته وقد تفتحت زهرة جميلة على ثغرها الرقيق .

كانت الظلمة ما تزال تغلف الكون عندما غادرت السيارة القرية . رائحة الارض تنبعث في الاجواء رطبة طيبة : وقد بللتها الامطار ، ممتزجة برائحة النباتات البرية . وكانت السيارة تمضي بالناس الهابطين الى المدينة . « ميهوب » يحمل فوق ظهره اثقال الدنيا . المهمة صعبة. لا يدري، هل سيتمكن من بيع البيض والعودة سريعا بالفستان الاحمر لوحيدته ؟؟ ويرى بعين خياله جمانة الحبيبة تختال في ثوب رائع في ازقة القرية . تبتسم وتتهادى بلين ، كغصن تداعبه نسائم الفجر فيهتز مزهوا راقصا بغنج ، مختالا بدلال . وحيدته ، وردة القرية المتفتحة ، آماله وحبه وحياته ، هي كل ما يملك ويرتجي ويأمل .

يدخل المدينة الضاجة الصاخبة . الناس يتبعثرون في ازقتها وشوارعها . بعضهم يسرح والبعض الاخر يتوقف بكسل ورخاوة كالاحجار ، كالقمامة . انه يكره القمامة ويكره التوقف بلا عمل . السل بيده ثقيل جدا . والبرد قارس شديد . صوته الجاف يتعالى وهو يقف مستندا الى الحائط :

ـ البيض البلدي الطازج ! البيض البلدي الطازج !

امرأة عجوز ، اشترت منه عشر بيضات وناولته الثمن : انها امرأة طيبة كما يبدو . قال لها برفق :

ـ استفتاحك مبارك يا ست .

ويمضي « ميهوب » مناديا من شارع الى شارع ومن زقاق الى اخر . عصاه في يد ، والسل في اليد الاخرى .

قال له احدهم : اذهب الى البازار يا أخ ، هناك يبيعون البيض . اشترى منه خمس بيضات قلبها طويلا حتى انتقى اكبرها حجما . . . ود ان يقول له ارجوك ان تتركني ، لقد انتصف النهار ولم ابع شيئا . لكنه خجل منه . رائحة العطر النفاذة تتصاعد منه والعلكة تتطرقع في فيه . . عاد الى ترتيب البيض في التبن ، ومضى مثقلا نحو البازار . .

كان بعض الصبية هناك يتجمعون للشقاوة ومعاكسة الناس . سرعان ما اقتربوا منه متظاهرين بالشفقة عليه . قال له اكبرهم سنا .

ـ اتريد ان اساعدك بحمل السل يا عم . .

ـ لا لا شكرا يا بني . ممنون يا ابن الحلال .

ـ كلا سأحملها عنك .

ـ قلت لك يا ولدي ممنون .

احس بدنو العاصفة . وضع السل على الارض وجلس قربه

الشاعر الملاح

★

أتجتث الاسى عينا	ك من أعماق أغواري ؟
وتطفىء لوعة العمر	فتشرق كل أقماري
وهذا البحر يطويني	بتذكاري واسراري
أغني كنت في ليلي	وكان الحزن قيثاري
اذا ما هبت الريح	وهزت بعض اوتاري
لهيب سار في صدري	وفي ابيات اشعاري
لافني جدب أيامي	بآهاتي وتذكاري

البصرة – العراق — محمد صالح عبد الرضا

فاقتربوا منه اكثر . الشرر يتطاير من عيونهم . شعر بشيء من الخوف . كانوا يتضاحكون، ويتزاحمون حوله . قال له احدهم اطعمنا بيضا ، واقتربوا اكثر من السل . رفع عصاه صارخا في وجوههم : بحق الانبياء اتركوني يا ابنائي . اذهبوا عني . قال كبيرهم متظاهرا الصدق : لن نفعل شيئا يا عم سنشتري بيضا، معنا دراهم . واخرج من جيبه حفنة منها مقتربا من السل . كان أحدهم يحمل هرا كبيرا ويقف خلفه . ربط احدهم ذنب الهر بعقاله ، وضربه فمضى مذعورا جارا عقال «ميهوب»

صرخ القروي ضاربا بعصاه من حوله ، ومضى صارخا في اثر الهر الذي اختفى عن الانظار . عاد حاسرا ، ليرى المشردين الصغار يضحكون في الزوايا . يلحق بهم حاملا عصاه فيتفرقون ليعودوا من جديد . ماذا يفعل ؟ يصرخ ويعربد كالمجنون فيزدادون شراسة . رأى شرطيا ناداه قائلا : ارجوك سرقوا عقالي ، وكسروا بيضي ، الق القبض عليهم . نظر الشرطي حوله وهو يتثاءب بمضض ، لم يجد احدا . سأله : من تشكو ؟ تعال معي الى القسم لننظم مخالفة . من هو خصمك ؟ من المعتدي عليك ، اسمه، لقبه ، ماذا يعمل ؟ انه لا يرى احدا . يرتجف من البرد وعصاه في يده مقرورة مثله . ود لو يضرب الشرطي، لو يقول له يجب ان تعرف انت من هم اعدائي . يجب ان تحميني .

مضى الشرطي في طريقه . و «ميهوب» يتساءل من هو عدوه ؟ فقد يمر شرطي اخر يسأله السؤال نفسه ؟

من الزوايا برزت وجوههم من جديد . وسخة ، بشعة ، كالحة . قهقهاتهم ضاجة اكثر من ضجيج المدينة .

– اتشكونا الى الشرطي يا كلب ؟

بصق احدهم في وجهه وهرب . لحق به ، ضربه بالعصا . تعلق بسترته فوقعا ارضا . تقدم احدهم من السل والقى بمحتوياته ارضا . تكسر البيض ، وسال في الشارع ممتزجا بالتراب والتبن . تجمهر بعض الناس الضاحكين . لحق بالاولاد مزمجرا ، ضاربا بعصاه صائحا ، معربدا . انهالت عليه قطع من الخضار والحصى . احس بأنه مغلوب على امره ، وبأنه في المعركة وحده ، لا احد معه .. المدينة كلها ضده . لوح بعصاه بيده المتعبة ومضى هاربا في طريق القرية . اتراهم يلحقون به؟ اصواتهم مزمجرة وقحة . قذارتهم تملأ خياشيمه بروائح نتنة . لن يقف . سيحمل نفسه بعيدا ، بعيدا عن القذارة التي احاطت به فاتعبته ، تركته تافها اضحوكة للمشردين . لا لن يتوقف . لن يبقى اضحوكة لهم ما دام يقوى على الركض . مفاصله تتراخى .. تضعف ، تتلاشى . وهم وراءه يركضون . يلاحقونه باعينهم المحجرة . قهقهاتهم تتعالى ، تزمجر، تعربد لتصل اليه . انه لا يحس شيئا . لا يقوى على الركض . يتهاوى على الارض ، والعرق يتفصد بغزارة من جسده كله .. الارض الملساء الناعمة . رفع رأسه عن الاسفلت الرطب . ونظر الى اعدائه تخيلهم امامه ما زالوا يلاحقونه . شياطين المدينة الاوغاد . ما زالوا يضربونه بلؤم وحقارة واستفزاز .. لا زالوا يقهقهون .

تناول عصاه ووقف من جديد . واستدار ضاربا بقسوة . الليل يلف الدنيا من حوله ، والاصوات الشريرة تعربد ، وهو يضرب ، يضرب باستمرار ، يمينا ويسارا ، وبلا توقف . يضرب هذا العدو المخيف البشع، هذا الوحش الكاسر الرهيب . ويمضي ضاربا الاشباح من حوله بلا شفقة ويود ان لا يكف عن الضرب .

وتتخاذل قواه وتتلاشى .. يفنى .. يذوب .. يسقط على الاسفلت الاسود من جديد متمتما بصوت هامس اجش كأنه يخرج من اعماق كهف قديم :

قتلت المدينة . !

اللاذقية — رياض نصور



يوسف عبد المسيح ثروة

مسرح جان جينيه

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

جان جينيه (١٩١٠ – ...) كاتب مسرحي فرنسي عرف بحياته الغريبة كما عاشها في البيوت المشبوهة ، لقيطا ، ابن سفاح ، يتلقفه هذا البيت ليرمي به الى هذا الشارع المهمل او ذاك الزقاق المهجور ، والطفل يئن ويقاسي ويتعذب ، وكأن العذاب موكل به ليذرعه . الطفل لا يفهم لماذا قذف به الى هذا العالم ، اثر نزوة عابرة ، ليكون طعمة لكل هذه الهواجس وهاتيك المخاوف ، من غير ذنب اقترفه ، سوى انه حكم عليه غيابيا في الموت بين احضان الحياة الفاجرة .. انه جاء الوجود هذا وانفه راغم ، ولهذا السبب الغريب ما عليه الا ان يتقبل ثقل الحياة راضيا .. واذا كان في هذا الامر تناقض فليكن هذا التناقض حادا اشد ما تكون الحدة ، فليس من المعقول – في شيء – ان تكون العاقبة المنسجمة تتمة منطقية لفوضى طاخية . ذلك ان الفوضى مجموعة غريبة من المصادفات والمتناقضات والعشوائيات تتلاطم جميعا في خضم واحد من العبث الهازل والسخف الاجوف والجهل الارعن .. وكيف لا تكون الحال كذلك ، والمجتمع نفسه ، في اساسه ، وفي بنائه الفوقي ، كومة هائلة من ترسبات تاريخية متحجرة ، واخلاط عجيبة من قوى دينامية حية ، وقوى متفسخة عفنة ، وفعاليات فردية خلاقة ، واخرى وحشية مستكلبة تتضخم بالانانية الفردية ، وغيرها قوى ايجابية منفعلة بالمجتمع وفاعلة فيه ، متأثرة به ومؤثرة في مجرى تطوره ..

والانسان الفريد ، الوحيد ، المنعزل حتى عن شجرة نسبه ، دودة باهتة ، شاحبة ، ضائعة تائهة ، في هذا الوجود الكبير ، المعروف بالمجتمع المتمدن ، لانه مولود فيه ، وقد دمغت ناحيته بالانسلاخ عن وجوده العتيق بصفته انسانا ، وعن آدميته بصفته فردا ضائعا من قطيع ضائع .. التائه الصغير يتمرغ في اوحال المدينة الكبيرة ، مدينة النور والاثم ، في باريس اصحاب الملايين والقصور السامقة ، وسيارات الليموزين الفارهة ، والمسابح البللورية ، والاضواء الباهرة ، والاجواء المعطرة ، هذا وجه من وجوه المدينة المتعددة الوجوه ، اما الوجه الذي واجه الطفل فوجه كالح اسحم ، تقدح عيناه شررا ملعونا ، وينفث فمه المتشقق سموما متطايرة وزبدا متقيحا ، ودخانا اسود حالك الظلمة ، يغطي الشوارع والازقة معا بسخام العهر والشذوذ والرذيلة . والطفل لا يجد له سبيلا يسلكها ، ولا طريقا يطرقها ، لان عزلته تأبه عليه ان يتزحزح مما هو فيه من موضع .. واذا ما تزحزح بفعل الشر او بحثا عن لقمة سوداء ، او امتثالا لباعث خيالي طفولي ، كي ينوع ما هو غير منوع من هذه الحياة الراكدة الهامدة ، فهو لن يفعل ذلك ، الا ليجد نفسه وقد انقلب رأسا على عقب . واذا بالشر يزداد بشاعة ، واذا بالشذوذ يزداد اغرابا وغربة واذا بالطرقات كلها تؤدي الى بابل الجديدة ، بل روما الجديدة .. حيث المتاجرون بالارواح يتكاثرون تكاثر النمل الابيض بسبب من تكاثر تلك الارواح ، في تواتر عجيب ، وتوافر مريب .. والسنة بسطاء الناس تقول هذا هو الواقع ، وليس غير الواقع من حقيقة راهنة في هذه الحياة .

وتجري السنون العجاف جارفة الطفل ، جان ، معها ، ليكون صبيا ثم يافعا فشابا شب عن الطوق .. فرجلا ، فأين نجده في غير الاماكن التي ينبغي له ان يوجد فيها .. ها هو ذا في الزنزانة رقم .. في احد السجون المعروفة . او في ذلك المنزل ذي العتبة البالية ، او في ذلك الزقاق الليلي ، المحسوب من ازقة البشر ، او في تلك الحانة التي تنضح بالشذوذ ، الحانة المخمورة التي تأبى ان تنام حتى في النهار .. ومن ذلك العالم السفلي ، عالم الجناة والمختلسين والشذاذ، والقتلة والمجرمين واصحاب السوابق وقطاع الطرق واللصوص والنشالين وكل الحثالة التي تسكن في دهاليز باريس المظلمة .. من ذلك المكان المرعب ، المجنون ، الذي تقطنه شياطين الانس والجن ، خرج جان جينيه برائعته ((خفارة الموت)) سنة ١٩٤٧ .. وهي مسرحية من فصل واحد تتضمن نزاعا متوترا يصيب ثلاثة من الشبان الوسيمين ، معبودهم مجرم قاتل هو (سنوبول) الزنجي ، وفي هذه المسرحية يعلو صوت الحب وينخفض متماوجا ، صاخبا احيانا ورخيا هادئا احيانا اخرى ، كما فيها ، فضلا عن الحب شؤون من شؤون الحياة الشجية . اما خلفية هذه المسرحية فهي زنزانة في سجن من سجون باريس .

ثم اعقبها جينيه بعد امد قصير بمسرحيته ((العذارى)) وهي حكاية اخرى من حكايات العنف والعاطفة الوحشية غير الطبيعية ... واردفها بمسرحيات ((الشرفة)) و ((السور)) و ((الاستار)) على التوالي ... ولما كنا سنتناول ببحثنا هذا مسرحيتي ((خفارة الموت)) و ((الشرفة)) فلا بد لنا ان نشيح صفحا عن سائر المسرحيات الاخرى ، غير انه لا بد لنا في الوقت نفسه الا ان نمر بمسرحيتي ((السود)) و ((الاستار)) مرور الكرام . فالاولى تتحدث عن التمايز العنصري وعن آثار هذا التمايز العنصري في الشخصية الانسانية ، وفيها نجد نار الحقد المقدس يتلظى حمما وسعيرا في قلوب الزنوج ، كما يتلظى الحقد الاسود الظلوم ، في قلوب السادة البيض وكل ذلك باسلوب مشرق ، فيه حلاوة المشاركة الوجدانية يمحضها جينيه لشخوصه المنسحقين ، الذين قدر لجسومهم ان تستحم في القار بمحض المصادفة البيولوجية العجيبة ، والصراع – في هذه المسرحية – كما في سائر مسرح جينيه – يتسم بالمواضعات الطقسية والاحلام والخيالات المجنحة .. التي تدعى (الفانتازيا) . اما مسرحية ((الاستار)) فهي تواكب سير ابطال التحرير في الجزائر ، ام الشهداء المليون ، خطوة خطوة ، وتطرح مشكلة الاستعمار بعامة ومشكلة الاستعمار الفرنسي بخاصة طرحا انسانيا ، عميق الغور ، اصيل الجذور ، صافي الرؤيا والرؤية .... ولا شك في ان منبت جينيه له صلة اكيدة بمنبت الثورة الجزائرية ، لان جامعة العذاب والمعاناة تربط بينهما .. وان كان الاول حضيضا فرنسيا والثاني تربة جزائرية شريفة النجد ، رفيعة المحتد .

ان جينيه – بمسرحيتيه هاتين – يقفز من الصعيد القومي الى

الصعيد الانساني قفزة ذات دلالات ، فيها يتجلى الحب الانساني الشامل لكل كبيرة وصغيرة في عالمنا هذا ، فالكاتب الفرنسي الذي يشعر بما يشعر به الزنوج ويشعر بما يعتمل في جوانح الجزائريين ، لم يعد يلتزم المواقف التزاما آنيا ، على حسب الظروف والاحوال ، بل هو يأخذ القضية الانسانية مأخذا جادا ، ويتلمس في حلها حلا لمعضلته بالذات ، بصفته انسانا له معضلة تتطلب حلا تماما كما هي الحال مع معضلات القضية الانسانية العامة ، من اضراب الاستعمار والتمايز العرقي العنصري ، والتمايز الطبقي وما الى ذلك .. وهو ـ فيما هو فيه ـ لا ينطلق من اجواء ميتافيزيقية موغلة تتناول الانسان باعتباره كائنا مستقلا منفردا ، ذاتا موجودة لذاتها ، وعينة فريدة منفصلة عن بقية العينات .. لان الاخرين هم الجحيم .. بل هو ينطلق من منطلق بسيط ، هو حياته المأساة ، ليضم اليها مأساة الاخرين فيكون الكل المجتمع من هذه المآسي معينا لا ينضب لمسرحه ، من حيث صلة هذا المسرح بمجريات الحياة في العالم وقضايا هذا العالم المتنفضة الحادة ، الماثلة امام كل كاتب جاد يريد ان يربط مصيره بمصير العالم ..

مسرحية : خفارة الموت

اما ابطال « خفارة الموت » فهم ابو العيون الزرق وليفرانك وموريس ، والاول محكوم عليه بالموت بالمقصلة في غضون شهر والثاني على وشك الخروج من السجن والثالث صبي في السابعة عشرة من عمره ، جاء السجن متطوعا .. تتكشف المسرحية في حلم من الاحلام. وبتجاذب الثلاثة الحوار فيها في مزيد من الاصالة بالقياس الى الاول والثالث ، وفي كثير من الادعاء والزيف والتظاهر بالقياس على الثالث.

واول ما ينطلق الحديث يتناول (البطل) سنوبول الذي سيوليه ليفرانك بأوفر قسط من الثناء فهو « يفوق الجميع بأسا ، اذ لا يتمكن منه اي من المحكومين فلا يطال نوره احد ، وهو قـوة مؤذية حقا » فيزيد موريس على ذلك بقوله : « من ينكر ذلك . انه شاب وسيم ، قوي البنية . يمكن ان تدعو (ابو العيون الزرق) متسربلا بستار من الدخان ، ابو العيون الزرق مطليا بالوحل ، ابو العيون الزرق في الظلام » . وفي رأي ليفرانك ان الزنجي اسود لكنه يضيء الزنزانات الالفين بأسرها . لم يطرحه احد على الارض قط . واذا ما مشى اميالا في الردهات والزنزانات ، فماذا يحدث ؟ ان اصفاده هي التي تحمله. ذلك ان سنوبول ملك . قد يكون اتى مـن الغابة . لكنه لم يات الا ورأسه عالي الجبين ، الا ان هذه الاقوال الموغلة في المغالاة لا تجد لها مكانا مكينا في قلب ابي العيون الزرق الذي يتدخل في الموضوع فيقول: « ليس من ملك في السجن . سواء سنوبول ام غيره من السجناء . اما كلامه عن جرائمه فيمكن ان تكون هواءا في شباك » .

ويتأزم الوضع بين ليفرانك وابي العيون الزرق ، لان الاول يتماهل في قراءة رسالة عشيقة ابي العيون ، ولان الاخير مضطر ـ بحكم اميته ـ ان يلجأ الى صاحبه ، كلما جاءت رسالة اليه . ولذا فابو العيون لا يرى مفرا من تهديد ليفرانك لانه ليس من السهل ان يتحداه ، وان عليه ان يرقب كل خطوة يخطوها ، والا فلا بد من حلول مشكـلة في الزنزانة . والامر الذي يزيد المعضلة حراجة ان العشيقة علمت علم اليقين ان كاتب الرسائل اليها ليس هو ابو العيون ، ولذا فهي تطالبه ان يكتب هو نفسه ، مهما تكن كتابته .. انها تعلم الان ـ على يذهب ليفرانك اليه ـ ان ابا العيون لا يعرف القراءة او الكتابة .. واذن فثمة مكيدة ، ثمة فخ . اذ كيف عرفت الحبيبة البعيدة ، ان الكتابة ليست كتابة ابي العيون ، وما هي المكيدة غير تواطوء مكشوف بين هـذه الخائنة وبين ليفرانك ، وبينه وبينها ثلاثة ايام فحسب ؟.. انه يفعل ذلك بأمل الحصول عليها واختطافها منه . فالويل له اذن . لكـن ليفرانك لا يعترف بذلك ، ولا يريد ان يصرح بشيء امـام موريس ، فيسمع موريس بتلك الرغبة المكبوتة ويلتفت الى ليفرانك قائـلا :

« .. كان يجب ان تقول هذا . اذا كنت ازعجتك فيمكنني ان اتلاشى في الضباب » ويلح عليه مطالبا بالاعتراف بحقيقة الحال ، وبحبـه لفتاة صاحبه ، واحتياله عليه .. ذلك ان موريس مدين له بحياتـه له ، لابي العيون . ومن الخير ان يخرج ليفرانك من السجن . لينالا قسطا من الهدوء والسكينة والراحة .

واذن ليفرانك غير مرغوب فيه ، ومن هو الذي لا يرغب فيه ؟ انه موريس الذي يستطيع ليفرانك طحنه وسحنه ونثر عظامه وفري لحمه وابادته في لحظات .. ايصح لهذا الصبي ان يتطاول عليه هـذا التطاول المشين ؟ انه بايماءاته وتلميحاته قد استطاع ان يخدع الحراس ويخدع (ابا العيون) لكنه اعجز ما يكون حيلة ومكرا حياله ، ولولا رحمته به لقضى عليه ، ولكنه سيريه ، قبل ان يغادر السجن كيف تكون المسألة هذه المرة . فينتفض الصبي خوفا ورعشة ويتمسـك برحمته مجددا بقوله : « حسنا ، جورجي كن عنيفا كما تشاء . تعال الان بينا انا ناظر اليك . الا انك قبل ان حاولت قتلي ، كانت ليال كنت فيها تغطيني بما تلتحف به . لحظت ذلك من مدة طويلة كما لحظها ابو العيون الزرق . وهذا ما اضحكنا كلينا ايضا » . ويغتاظ ليفرانك مما قاله موريس ، ويعزو موريس هذا التبرم الى كونه قد قضى زمنا يسيرا في السجن والى ان ليفرانك كان يسر اشد السرور من رؤية شعره وهو يتناثر بين فكي المقص ومن رؤيته وهو يتألم . كما سئم منه اشد ما يكون السأم « فليس يكفي ان يموت الانسان من الجوع ، وان تغلق عليه الزنزانة ، وهو فاقد الحياة » هذا كله لا يكفي ، اذ لا بد من ان يقتل احدهم الاخر .

ويحاول موريس ان يعلل الامر ، فقد يكون السبب انـه اعطاه نصف قوته ، لكن هذا كله لا يعني ليفرانك في شيء ، فهو يريد ان يتكلم لينفس عما في نفسه من غيظ مكتوم ويريد مـن صاحبه ان يلتزم الصمت ، فمن حقه ان يفعل ذلك ومن واجب صاحبه ان يصمت. وكيف لا يحق له هذا ، وقد تحمل وشم عبيد السجون الفظيعة طيلة ثلثمئة سنة ، انه لا بد ان يصبح ماردا جبارا (سايكلون) ليمـزق زميله اربا اربا . فهو لم يعد يطيق عذوبة موريس التي تقتله ، واذن فلا مفر ان يذهب احدهما. لان موريس والقاتل اللطيف اخذا يضجرانه .. ها هو ذا يتهم ابا العيون الزرق مرة اخرى ، في محاولـة منه لتغطية اساليبه الخبيثة لاختطاف فتاته التي كان يتضور تحرقا اليها .. حقا ان موريس كان على حق باتهامه ليفرانك ، لقد حزر ذلك ، فهو قد عمل ما في مستطاعه ليبعد الفتاة عن فتاها .. ذلك انه يريد ان يبقى ابو العيون الزرق وحيدا فريدا ، كما يشتهي الاخير ، وهو حين يكون همزة وصل بين الفتاة وفتاها ، لا يفعل ذلك الا بصفتـه اداة توصيل ، دائرة بريد لا غير ...

هذا ما يدعيه ليفرانك ، ولكن اهذا الادعاء صحيح ؟ كيف يمكن ان يكون هذا الادعاء صحيحا وهو يكتب الى الفتاة بفيض من قبله ، كأنما كان يكتب الى فتاته ؟ هذا ما يذهب اليـه موريس ، امـا ليفرانك فيوجه سهامه الى صاحبه بهذه الكلمات : « ولكنـك انت الـذي عانيت . ولا تـزال تعاني . انـك توشك ان تبكـي وانا الـذي حملتـك علـى البكـاء متأرجحـا بين العـار والغضب » ويستمـر شجار الكلمات هذه بين موريس وليفرانك متصاعدا متوهجا ، حتـى يفزع ابو العيون مما هو فيه ويتحسس وجوده ويتلمسه ، فيضجر من القيل والقال ويمسح وجود صاحبيه بكلماته : « انا برم بكما ، فانتما لم تعودا موجودين . ففي غضون شهر سينالني الفاس وسيكون رأسي في مكان وجسمي في مكان اخر . انا الرعب . انا الرعب المقدس . استطيع ان اهشمكما . اذا كنتما تريدان فتاتي ، دونكما المرأة خذاها. انكما منذ زمن تدوران وتدوران حولي في محاولة للعثور على موطىء قدم » .

ابو العيون الزرق في طريقه الى العالم الثاني ، فلماذا لا يفسح

في المجال لفتاته لتشرع في حياة جديدة . انها ستجده بعد امد قصير جثمانا مسجى ، وستكون ارملته اذا لم تفارقه سريعا ، ليس لها الا ان تصلي على قبره ، وبيدها اكليل من الازهار ، انه رجل ميت فهل يضحكهما ذلك ؟ وهي تكرهه وقد هجرته الاقدار . ثم يحس ابو العيون الزرق بمعنى الفراق والهجران ، وطول المسافة بينه هو الميت وبينها هي الحية ، فلا تستطيع شفتاه الا ان تتمتما بغيظ وحنق : « امرأتي الصغيرة . الكلبة الصغيرة . انها تركتني وحيدا اشد ما تكون الوحدة ، وسط الصحراء » وهنا يقسم موريس انه ان عثر بها فسيقضي عليها في الحال ، فيعلق ابو العيون على هذا القسم بقوله: « فات الاوان ، فحالما ستلقي ناظريك عليها ، ستنسى كل شيء عن ابي العيون الزرق » فيجيبه موريس : « ابدا » ، الا انه يرد عليه بحدة : « لا تقل ابدا . انا اعرف كل شيء عن الاصدقاء الذين يقسمون بأنهم لن يفعلوا هذا الشيء او ذاك . لا ينبغي لك ان تمسها .. فهي فتاة فقيرة ، بحاجة الى رجل حقيقي ، وانا لم اعد غير شبح . كان ينبغي لي ان اعرف كيف اكتب . كان لا بد لي ان اصنع جملا بديعة . لكنني انا جملة بديعة » .

هذه كلمات رجل ، بينه وبين الموت ايام معدودات ، كلمات نابعة من قلب كسير ، من روح شفافة ، منسحقة ، يتلمسها الغفران فيحيلها الى معان انسانية رقيقة تطير على اجنحة الملائكة البيض ، في زرقة السماء ، لتواجه جبين الشمس ، ببراءتها الجميلة وبساطتها الخلابة ، لتقول لغلاظ الاكباد من الناس ؟ هذه كلمات انسان مجرم عادت اليه آدميته ، وهو يواجه القدر ، انه واحد من هؤلاء الساقطين الذين هم ايضا بشر .. اسمعه وهو يحاور صاحبيه :

« انكما تضحكاني . الا تريان حالي . الا تريان اننا هنا لا نصنع الا قصصا لا تعيش الا بين الجدران الاربعة . تعتقدان انني احمق . الا تعرفان من انا ؟ الا تدركان ان القبر مفتوح بين قدمي ؟ ايها السادة ، الفأس . انا لم اعد حيا . انا وحيد . وحيد . سأموت هادئا . لم اعد اتألق . انا متجمد » . ومع هذه الكلمات البراكين ، نصر البلاغة على القول ، انها تعبير وتعبير دقيق عن خوالج النفس ! ويتحدث ابو العيون الزرق عن ارهاصة جريمته فيقول : « حاولت ان اكون كل شيء كيلا اصبح مجرما . حاولت ان اكون كلبا ، قطة ، حصانا ، نمرا ، منضدة ، حجرا ، حاولت ، انا بالذات ، ان اكون زهرة .. حاولت ان اعيد عقارب الساعة » . لكن الجريمة وقعت ، ووقع اسيرها انسان اراد ان يتداركها فلم يقدر ، انه شد الى الجريمة شدا لا انفكاك له ، فكأنها وجدت بوجوده ، وكأنهما توأمان من رحم واحدة ، ان ايدي الاقدار هي التي حلت محل يديه .. فمن العدل ان تقع عوضا عن رأسه لانه لم يفعل شيئا غير ان ينفذ ارادة غيره ، فكيف يحل العقاب به ، وهو مدفوع مسير ، فاقد الحرية ، ومن فقد الشيء لا يمنحه لغيره ، وماذا تكون الاقدار غير هذا المجتمع الظالم الذي يسوغ الجرائم وييسر لها اسباب الوجود ، بما فيه من دوافع اليأس ونوازع القنوط وحوافز الافلاس الروحي ، وكلها قوى جبارة تدفع بخيار النفوس البريئة اصلا الى مهاوي الاثم والجريمة ..

وبعد ان وقعت الجريمة ، ماذا يحدثنا عنها ابو العيون وقد خنقت الضحية ؟ « لم اجسر على مغادرة المكان . ظننت انني ارى حشدا مرعبا في الشارع وحسبت انهم ينتظرونني لاريهم نفسي من الشباك . » ها هو المجرم ينبهت ، ينذهل ، يتصلب ، يتحجر في مكانه ، انه يؤخذ على يديه ، وينقطع نفسه ، وينشده ، ويريد ان يعود انسانا فما يستطيع .. ها هو قد خرج من عالم الى عالم اخر ، فتفتتت اركانه ، ولهذا نراه يواجه صاحبيه بقوله : « تتصوران انني قد تفتت ، لا تتصورا انني سأبقى متفتتا . ان ابا العيون الزرق سيلتئم ويعيد تنظيم نفسه . سأبني نفسي مرة اخرى .. وسأقوي نفسي واكون اشد صلابة من قلعة ، من سجن . اتسمعاني انا هنا السجن نفسه ، انا السجن وانا الوحيد في العالم » .

ويحل يوم الزيارة ، ويطول انتظاره لفتاته ، ويعود الى زنزانته خاسئا حسيرا ، وبعد ان ينقطع به حبل الرجاء ، يحضر الحارس الى الزنزانة ليخبره ، ان صاحبته بانتظاره ، فيجيبه وقد اخذ القنوط بخناقه ، « بعد كل هذا اذا كنت تحبها فجرب حظك » . فيقول له الحارس : « لا مزاح ؟ اتعني اني قادر ؟ » ، فيرد عليه : « لم لا ؟ لقد تركت الارض وبرمت بي الحياة . ثم انك لست كسائر الحراس ». ذلك انه فهم كل شيء ، وكان من الشجاعة بحيث انتصر للوحدة ، وترك كل ما في العالم . وهذه الوحدة يؤكدها ليفرانك ويعمل لها والى هذا الامر يشير بقوله : « يا ابا العيون الزرق ، اردت ان افصلك عن فتاتك ، وقد عملت كل ما استطيع لابعدك عن العالم، وابعد الزنزانة والسجن كذلك » .

ولكن السجن هو سجن ابي العيون وهو المسؤول عن المشهد بأكمله ، واذا كان له ان يقوم بعمل ما فقد فات وقته لانه ليس من الانسانية ان تتوقع شيئا ذا اهمية من انسان يوشك ان يموت وبخاصة بعد قفزته الكبيرة في عالم الفراغ والعدم وبعد ان قطع اخر الاواصر التي تربطه بالكائنات الانسانية . ومع ذلك فانه لا يفقد شجاعته ، فهو في السجن قوة يعتد بها ، لان قوته منبثقة من قوة الحديد والصلب والجريمة ، القوة التي يمثلها سنوبول ، الانسان الذي ثبت وجوده في وجود السجن ، فرسخت فيه قدماه ، وتوسعت فيه شخصيته حتى طفت على كل السجن ، فأصبحت ارادته هي الارادة العليا الحاكمة بأمرها اما ليفرانك الدعي ، الطبل الاجوف ، فقد واجهه موريس بحقيقته بقوله : « .. انت فارغ ، اجوف حتى في مخ عظامك، وقصصك حول مراكب السجناء والوشم على رسغيك واسرارك مع فتاتك ومشاكلك مع سنوبول .. وغضبك كل ذلك فارغ اجوف » .

وهكذا وبهذا الاسلوب الصارخ وبهذه التعرية التي تمزق البراقع والاقنعة ، يستطيع موريس ان يعطي ليفرانك حقه في الوجود في الزنزانة . وان يبين له ان ليس هنا مكانه .. فيثور ليفرانك لكرامته المداسة ، وتمتد يداه بصورة اوتوماتيكية الى رقبة صاحبه موريس . وتنقطع انفاس الاخير بغتة .. وبين الذهول والانبهار والفجاءة يتمثل ابو العيون الحال فينتفض قائلا : « قتلته للاشيء ! من اجل المجد » وهنا يستعطفه ليفرانك قائلا « انك لن تتركني ؟ » فيرد عليه بعنف : « لا تتكلم معي . لا تمسني . اتدري ما معنى سوء الطالع ؟ اتعلم انني حاولت ان اتجنب ذلك الطالع ؟ يا احمق . اتريد ان تغطي على بفعلتك . اتسمعني ؟ انني لم ارد ان افعل اي شيء . لم ارد ان يقع لي ما وقع؟ كل ما جرى لي جاءني هبة من الشيطان. شيئا لم ارده».

في هذا الاقرار بل الاعتراف من واحد من عتاة الجناة ، شيء عميق الغور من الندم والاسى والحرقة ، شيء يتضرع بالغفران ليسمح له ان يجثو على قدميه ، كي يعود الانسان المطرود عن انسانيته انسانا مطهرا ، مولودا من جديد ، ولكن اوضاع المجتمع لا تيسر مثل هذه العودة بل هي على الضد من ذلك تجعل من المجرمين ابطالا ومن الاقزام اغوالا ، ولذا فمن السهل ان ندرك ما يعنيه تشبث ليفرانك بمجد ابي العيون وبطولته بقوله : « اريد ان اترك وحيدا . اريد ان يتركني كل فرد . اريد ان اصبح فريدا ، اريد ان اعود ما كنته » وهنا يجيبه صاحبه : « نحن ما نحن على الرغم من انوفنا » فيرد عليه ليفرانك قائلا : « ما انت فخور بأن تكونه » . واذن فقد انحدر ليفرانك الى الهاوية تعلقا منه ببهرج القوة والمجد والبطولة ، وطموحا في سوء الطالع الذي يؤدي الى هذه الهاوية .. ان الجريمة التي افتعلها جريمة متكلفة اصطناعية ، لانه اختارها بنفسه وبمحض ارادته ، في حين ان الجريمة هي التي اختارت ابا العيون وهي التي فرضت نفسها عليه فجثت على كتفيه وتعلقت به تعلق الارضة بالتربة الملائمة لها .. لقد حاول كثيرا ان يتخلص منها فصارعها ولاكمها .. ورقص وغنى –

ظنا منه ـ انه يبتعد عنها غير انها صرعته ـ وحين وجد نفسه قادرا على زحزحتها من صدره ، استكان لها وسلم اموره للاقدار ... وظل صاحبه يتخبط وهو يطرق باب الزنزانة مستدعيا الحراس لموضع الجريمة .. ليستطيع مرة على الاقل ان يعتزل الناس وان يكون بطلا في الوهم ..

مسرحية : الشرفة

اما ابطال مسرحية « الشرفة » فهم انماط مختلفة من المجتمع يجمعها مجرى واحد من الاعترافات في بيت مسكون بالشياطين والمردة من هؤلاء الناس المزيفين الذين يضيعون في المجتمع ، بما عرفوا به من سمات الدجل والنفاق والرياء ، فلا يجدون بدا من ان يروحوا عن انفسهم في مستقر الجحيم ، لينفضوا عنهم غبار الرتابة والتعقل والتنطع والزيف .. انهم هنا في هذا البيت الملعون يتحدثون على سجيتهم وكأنهم عراة ينظرون في المرايا فيتعرفون على حقيقة وجودهم بعيدا عن الاغطية والاردية والالبسة الاجتماعية .

الزوار في هذا البيت كثيرون منهم القاضي والشحاذ والجنرال والجلاد والاسقف ومندوب البلاط وصاحب الشرطة و (الملكة) ارما واللص و (المرأة) روزين وفتاة وكارمن وشانتال .. البناء قصر فخم كل قاعة فيه مزدانة بالثريات والمرايا ..

كلهم يسمع بالثورة الناشئة في البلد ، فتقول ارما : « الدم في كل مكان » . » ويضيف الاسقف الى ذلك قوله : « نظام العالم ضعيف بحيث تستطيعين ان تفعلي كل شيء هناك » . لا بد من انهناك وميضا عابرا . لكن لا بد من التوبة . هناك حيث الثوار يتجمعون وينتظمون افواجا افواجا تعتورهم رغبة عارمة من حب العدوان . ان الشر الذي يدفعهم الى فعل ما يفعلون لا يلبث قليلا حتى ينظر بوجه شاحب الى الهوة التي حفرها ، فيحدق فيما فعل طويلا .. لكن الشر هناك في العالم لا هنا حيث لا يمكن فعل الشر ، بل حتى احتمال فعله . لان من يعيش في الشر لا يستطيع ان يجترحه وبخاصة وقد تلاشى الندم وحل محله اوار الجحيم الذي يحرق الشرور وافعال الخير معا . ها هو الاسقف ينظر الى المرآة ، انه لا ينظر اليها حسب بل في دخيلة نفسه ايضا ، ولذلك ينزع رداءه الكهنوتي ، بلمحة من الاعتراف فيقول : « الجلال والوقار اللذان يضيئان شخصي لا ينبثقان من وظيفتي الاجتماعية .. انما ينبثقان من مناقبي الخاصة » .

والقاضي الذي يجد اللص في هذا المكان البعيد عن المعمورة اسما ، لا يرى حرجا من مخاطبته بقوله : « .. لا بد ان تكون لصا انموذجيا ، لاكون انا قاضيا انموذجيا ، فاذا كنت لصا مزيفا ، فانا لن اكون غير قاضي مزيف » . واذا كانت الاحكام ـ على حسب رأي القاضي ـ قد اصدرت جديا ، فلا بد ان كلا منها ستكلفه حياته ، ولهذا فهو ميت بالقياس الى العالم ، ولهذا فهو ساكن الان في تلك المنطقة من الحرية المطلقة . حيث يملك كل شيء ، لانه هو الملك المطاع والآمر الناهي ووازن الارواح في ذلك الجحيم المقيم .. وبعد اعتراف اللص بسرقاته يبادره القاضي بقوله : « انك ـ على الاقل ـ لا تكذب فيما يخص سرقاتك ، لقد اقترفت ما اقترفت ، اليس كذلك؟» القاضي لم يسأل هذا السؤال الا بعد ان نظر الى شفتي الجلاد فمطهما ونصح صاحبهما بقوله ، « ارهم انيابك . الانياب المرعبة البيض » ، ثم يلتفت الى اللص ليقول له : « ان وجودي بصفتي قاضيا هو فيض منبثق من وجودك بصفتك لصا وليس لك الا ان ترفض ان تكون من تكون حتى اختفي من الوجود ، اتلاشى ، اتبخر انفجر » .

ثم يعود الى الحق والباطل والتفريق بينهما فيخاطب سيدته قائلا : « اذا لم اعد اميز بين الحق والباطل فاي جدوى يبقى في وجودي ؟ » ومن هنا فوجود القاضي لا يتحقق الا بوجود نقيضه ، وجود اللص ، ومن ثم فكفتا ميزان العدل ترتبكان اذا انعدم وجود اللصوص في المجتمع . وتتحدث الفتاة عن الثورة فتقول : « انها قادمة . السماء هادئة قرمزية . الارض تسبح في سلام فجائي . هديل الحمام ـ السلام الذي يسبق المعارك . الهواء ساكن كل السكون والاشياء تمسك انفاسها » . وبدأ الموت يتحرك فسار بخفة من شخص الى اخر ، معمقا جرحا ، مفشيا بصرا ، منتزعا ذراعا ، فاتحا شريانا ، مشوها وجها ، منهيا صرخة ، اغنية . ثم استراح الموت من تعبه ونصبه ، فلم يجد غير كاهل الجنرال عشا امينا لمثواه .. اما كيف يعيش سكان هذا الكهف الاسود ، فليس للملكة ارما شأن فيه . ولهذا فكارمن تقول « عندما ينقضي اجل جلساتنا ينبغي ان ينتهي الحديث عنها ايضا . فانت يا سيدتي لن تسمحي بالتحدث عنها . ولذلك فليس لك من فكرة عما نشعر به حقا .. لانك تلحظين كل شيء من بعيد .. ولانك تخافين من ابتسامة ، من نكتة . » ارما تخاف لان الابتسامة ، النكتة ، الغمغمة الضاحكة تفسد كل شيء ، وخاصة الابتسامة التي تعني الشك .

ها ان المدينة ملأى بالجثث وقد انقطعت الطرق وانضم الفلاحون الى المتمردين واخذت ارما تفكر بالوباء . لان (الثورة وباء) ويخطر على بال ارما ان تتحدث عن مؤسستها وعن مكانة هذه المؤسسة في واقع الحياة فتقول وهي تتجاذب اطراف الحديث مع كارمن : « انا التي سميت مؤسستي دار الاوهام ولست انا سوى مديرة . كل من يدق الجرس ويدخل يجلب معه السيناريو الخاص به . وعملي لا يقتضيني سوى ايجار القاعة ومستلزمات التمثيل وتقديم الممثلين والممثلات . » وخلافا لرأي ارما عن الكهف ، فان كارمن لا تعد الكهف دار اوهام بل حقيقة واقعة ، واقعا حيا ، وهي لذا تقول « ان الدخول الى (هنا) يعني نبذ العالم . فانا هنا وسابقى هنا . ومراياك واوامرك وعواطفك هن حقيقتي » . في هذا الكهف يظهر الناس ذواتهم العارية . وتبدو الحياة قصية بعيدة . عميقة اشد ما يكون العمق ، كأنها تمتلك كل اللاواقعية التي تمتاز بها الافلام ..

وعلى حين غفلة يدخل صاحب الشرطة ، فتستقبله ارما خير استقبال وتلح عليه بأن يستبسل في القتال ، وان يزيد من عدد الضحايا ليقترب يوم النصر بسرعة اكبر . فيصغي اليها مؤكدا رأيها ويقول : « انا اعمل ما في استطاعتي . والناس يخشونني اكثر فاكثر» .. غير ان ارما لا تكتفي بذلك وتستزيده من العزم والاصرار وتقول : « لا يكفي . عليك ان تنحدر مندفعا الى الظلام ، الى الوحل ، الى الدم » . الا ان صاحب الشرطة لا يرى رأي ارما . فالثورة بالقياس اليه لعبة ، وكل ثائر يلعب لعبة يحبها . ولكن الشيء الذي يخيف ارما ان العاطفة قد تأخذ بزمام الثوار بحيث لا يعودون يدركون اي شيء ، فيقفزون بغير وعي منهم الى الواقع وهو امر يدركه صاحب الشرطة تمام الادراك ، وبما انه هو صاحب اليد العليا ، فسيكون الفائز الوحيد .. واذن اليس في الثورة جاذبية ، وعزم وارادة ؟.. ان فيها من ذلك الشيء الكثير .. لكنها وقد تسامت مبتعدة عن العالم ، فهي ستتبخر في اسرع وقت وستتجسد في اغنية . والامل في الاغنيات كبير ان يكن اغنيات جميلات .. وهنا تتساءل ارما : «ماذا لو ان اغنيات الثوار كانت حافزا مشجعا لهم ؟ ماذا لو كان الثوار يرغبون في الموت من اجلها ؟ » فيرد صاحب الشرطة عليها قائلا : «ان جمال اغانيهم سيجعلهم يخففون من غلوائهم » .

اما شانتال الفانية التي تسبح في اجواء الثورة ، فهي ليست صوت الناس وروحهم حسب ، بل هي صوت الثورة وروحها ايضا . ولذا فهي تسحر الرعاع بصوتها الجهوري وغضبها الزائف وتألقها المزركش ، وعينيها العقيقتين ، ولهذا كله يصغي اليها الناس ويحبونها ويتبعونها ، ثم ينسون اسباب الثورة ، فينفضون عنها .. ويعود مندوب البلاط من القصر ليتحدث عن الملكة التي احتمت بأحد الصناديق متزملة بالثياب الملكية ، وعن الجنرال الذي اضاع رشده في سورة غضب الجماهير فانقذه جنونه من ذلك الغضب ويتم الانتصار لصاحب الشرطة بصفته قوة تمثل نظاما جديدا يحتذي طريقا جديدة .

بغداد — **يوسف عبد المسيح ثروة**

الغربــة الروحيــة

بقلم داود الزبيدي

* * *

ان مشكلة الغربة الروحية مشكلة ممعنة في القدم . فقديما ابتدع الفيلسوف اليوناني سنيكا ، معلم الاسكندر المكدوني ، مذهبه الفلسفي « السنيكية » وقد انضم اليه طلاب ومؤيدون . والمتحمسون له كمن يجلسون في مقهى بلدي يدخنون الشيشة ليل نهار وهم يحدقون بالمارة كأناس بدائيين لم يملوا الكفاح الغريزي من اجل لقمة العيش . فالسنيكيون دائما ابدا في سخرية من احوال المارة وقد قنعوا بالخروج من دائرة الحياة والاعتكاف للتفرج والتمتع والرثاء في آن واحد مما يدور ويجري رهن السمع والبصر . هم يعبرون عن انفسهم بكونهم اناسا يعرفون ثمن اي شيء في الحياة ولكنهم لا يجدون قيمة لأي شيء . في جعبتهم الذكاء الحاد وعمق النظر للامور ولكن مع ذلك ليس ثمة من جاه يستهويهم او مجد يهز مشاعرهم ، فاللا ابالية طابع اصيل فيهم . الحياة في نظرهم ملأى بالسفاسف والترهات ، والخلود مهزلة كبيرة لا يثيرهم بشيء بأي حال من الاحوال . عندهم شيء من الزهد والتقشف ولكن لا مخافة من احد وليس من طمع بدنيا اخرى ، فهم فوق متواضعات المجتمع . لا تلهيهم هواية ولا تأخذ بألبابهم ، فزعا وهلعا ، احداث الزمن ، حتى وان احتدم الحابل بالنابل وعمت الحروب وتفاقم الشر وساد التضامن بل وغرق العالم في طوفان .

الحزن على موت القريب ضعف ، والتكالب على مطمع ضيق نظر ، والغلو في عقيدة تعصب اعمى لا جدوى من ورائه . قض ساعتك فرحا ، او قضها حزينا ولكنها ساعة ازمنية في عباب الدهر الابدي ، ولا بد انها ستمر وستمضي وتصبح حدثا في سجل الماضي ، ولن يغير فرحك او حزنك في تيار الزمن العاتي بشيء . بل قف هنيهة او لساعة متدبرا حالتي الفرح والحزن ان استغرقتا ساعة واحدة . بل ليكن التدبر طابعك الاصيل طيلة حياتك ، وافراح الغير واحزانهم تترى كشريط سينمائي لك . وبعبارة اخرى لتخرج عن نطاقهم .. ولتكن على هامش الحياة . لتقل : هذا خير وذاك شر .. ما معنى كل منهما ؟ اليس هذا بعبث ؟ فنحن نقتل في ساحة الحرب تحت اقنعة معينة بينما يتعذر علينا ذلك في حياتنا اليومية العادية . كن طبيبا في رعاية مريض يتعذر شفاؤه فهو يعاني من مرض وبيل مزمن . اين حدود الشر لامكانية استغلال الطبيب عجز مريضه ؟ وأين حدود الخير في وضع حد لحياة المريض ومن ثم وضع حد لآلامه وحشرجته ؟

يذهب الفيلسوف الالماني نيتشه وقد جن تطرفا في وضع معالم السوبرمان الى تبرير قتل العاجز ولا يرى غضاضة في تعدي حدود المألوف في متعارفات الخير والشر والرحمة والقسوة ، وعلى النقيض يفيض قلب الفيلسوف الروسي ليوتولستوي رحمة وخيرا في رفع شأن العاجز الضعيف . ويوغل العالم النفساني فرويد في تفسير جانبي الخير والشر والتطرف لاحدهما . وعلى ضوء اسس نظرياته نجد كلا من نيتشه وتولستوي حالة نفسية للدراسة . بل وحتى فرويد نفسه حالة اخرى . فأسس نظرياته قائمة على ما قاساه في طفولته من عنت ولجاجة وقسوة مجتمع . وبعد فأين نحن الان من صاحبنا أسير الوحدة الروحية العائش على هامش الحياة ؟

في الماضي كان عنوان الفرد ومحط تفكيره ان اعمل حتى لا تهلك جوعا . وما زال هذا الحال على نطاق اضيق قليلا جدا في عصرنا عما كان عليه في السابق . ولكن الشيء السائد في ايامنا الحاضره : ان فكر حتى لا تهلك . وهو على نطاق أوسع الان . فنحن نفكر باحدث الاشياء ونغير اساليب العيش القديمة فنبدع ونجدد ومن ثم فنحن نفكر في تيسير العلاج واستتباب وسائل الراحة بل ووسائل الترفيه .. وهم الكثير هو اطالة العمر . ولكن يبدو ان من يقاسي من الغربة الروحية في حل من كلتا الحالتين فهو لا يأبه بقليل او كثير لان يعمل مجدا او يفكر كثيرا حتى لا يهلك . فكل ما يعرف ان له معدة واحدة ليس بكثيرملؤها وان عليه ان يستنشق الهواءوان يستلقي مفترشا الارض ان اقتضى الامر ليحظى بقسط من راحة وقتية .. يعود بعدها ليجتر الخواطر نفسها ويعيد حلقة التفكير عينها ، وماهية الغربة الروحية ابدا دائما تجد في مطاردته . فتفاهة الاشياء صفة دائما لها جذور راسخة في مخيلته ، وان زمرتم وطبلتم يا بني البشر لغريزة حفظ النوع وحب البقاء ، وهما دائما ما تعتزون بهما ، بل واسمى وارفع ما تبذلون الغالي والرخيص في سبيلهما .. فانا الغريب روحيا .. تعالوا فاشنقوني !

والان اما آن الوقت لايجاد حل لهذه المعضلة ؟ ان اصولها تمتد عبر التاريخ وهذا النفر من الناس منتشر في جميع انحاء العالم مع فارق في الكثرة والقلة ، ولكن يبدو ان حركة التصنيع والرفاه الاقتصادي في بعض البلدان قد زادت من ذلك ، فنسبة المنتحرين في الشعوب الاسكندنافية مريعة حين نعرف ان اسبابها غريبة الاطوار ، فهي ليست صادرة على الاكثر الاعم عن حرمان مادي ، ولكن هذا الفراغ الروحي والغربة في

غريب

لن أرتجل اشعاري الغزلية يا رفيقي الطيب .
فالصمت يخنق حنجرتي عندما تهب النسائم العذراء
بعت قيثارتي وقلبي الى صحفي ثرثار .
واتجهت صوب منطلق جديد .
ها أنذا أعيش تاريخ مولدي دون زيف .
حياتي سرب ضحكات تناثرت كحصى الطرقات ،
في بحيرة عميقة ،
وارتسمت دوائر لم تزل ثابتة في ذاكرتي ،
سرابا بلون الجزر العارية .
أيامي ، غني يا مرافىء البحار ،
تداولتها أصابع الزمان على حدود الابدية ،
فصارت اكثر حلاوة ووقارا .
وتدحرجت الساعات في حركة لاشعورية ،
كجماجم القتلى .
أنا على المرفأ ، أتأمل مدهوشا هذا المشهد اللذيذ .
الزمان يحفر تاريخي المثير ،
على شاهدة القبر الذي سأدفن فيه ،
غداة ادرج في الكفن .
آه يا كآبة ... !
يا مطرا لا ينضب تحت حرارة الحب .
طفولتي تمتزج ، في جريان الدم ، معك يا كآبة .
تتغذى بها اعصابي فأنتشي وأطير .
يا جناحا ،
يا حلما بلون القرمز يحملني الى منفاي .
طر كروح لا مكان لها في العالم ،
لترتفع جبهتي كزهرة اللوز ،
المتشحة بالانتصارات ...!

حذائي تآكل ... تمزق ...
تلوث بالوحل والغبار .
وانا اقرع عصاي بالدروب .
باحثا عن جيل اضاع مفاتيح الحب الذهبية .
فيتناهى الى مسمعي صوت بلون الدموع .
يا غريبا يرتجل اغنية للضياع والتشرد .
من هنا مر البارحة ،
شاعر يأتزر وشاحا رقيقا ،
وفي يديه اللتين لا عنف فيهما ،
ديوان اشعار جميلة تزخر بالمحبة ،
كان يغنيها للمارة الذاهبين في البواكير الى اعمالهم ،
كان يستوقفهم جرح بليغ ،
منقوش فوق ثديه الايسر .
وكبرت يا رفيقي .! وكبر تاريخي ولم أزل غريبا ،
اسمع الصوت نفسه كل صباح ،
فأعري عيوني للطيبين ،
وأضعها امامهم للمناقشة بلا محاباة ،
لم يعد في قدمي حذاء .
لم تعد معدتي تؤدي وظيفتها بانتظام ،
غني يا مرافىء البحار .
ليس لي قبر ضيق ألملم فيه عظامي .
لا بد من أن أرجع وحيدا مكسور الخاطر .
الحنين يتشبث بقلبي كطفل جميل .
حملت شاهدتي وحذائي المهترىء ،
واذا دمعة تنسرح من عيني ،
كشحرور ينفلت في اتجاه الوطن ..!

دمشق — صالح درويش

احضان هذا العصر ، هما ما تعتملان به نفوس المنتحرين.
وبعد فان هي الا حقبة زمنية يعيشها كل فرد ، يكافح ويمرض ويشقى ويتعذب ، او يغتني او يصيبه المجد بعد نضال متعب شاق ، او يعتري جسمه او فكره شيء مشين فهو في لظى عاهة مؤرقة تقض مضجعه . كل هذا في جانب ، وصاحبنا من يشعر بالغربة الروحية في صعيد اخر .. وهكذا تسير هاتان الدفتان .

واني لاستغرب ايهما اسعد في الخلاصة ، وحين الاقتراب من عتبة القبر ؟ او لعل حتى هذه النسبية في مقياس السعادة بينهما ، هي ملهاة ومادة للسخرية والتفاهة لمن يعيش على هامش الحياة امير غربته الروحية ؟ .

هنتس — انجلترا — داود الزبيدي

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

يكـــاد المريـــب ..

ذلك الواحد من الناس .. الــذي لا تجلس اليه الا ويحدثك عن نزاهته وعفته ، ويبالغ فـي ذكر الشواهد عن صدقه وامانته ، ولا يقف عند حد واحد ، او حادثة بعينها ، ولكنه يلج بك الى هذا الموضوع مـــن شتـى حدوده ، ومختلف اطرافه ، فيروي جملـة حوادث ، لا تقدر على حصرها لو حاولت ذلك ..

بل انك لا تلمحه في مجلس ، يتسع لـــه مجال الحديث فيه ، الا وينزلق بمن يلقى هناك ممن يعرف او لا يعرف ، الي ذلك الحديث اياه ، ينقله اليهم ، ويقحمه عليهم ويفرضه فرضا لا يجدون منه مفرا ، ولا يملكـون عنه محيصا ..

وحين تسأل نفسك ، او حين تسأل اولئك الذين من حولك : ما له يفعل ذلك .. ومن حمله عليه يا ترى؟!

من غمزه او لمزه او اتهمه ، فهو ينبري يدافع عن نفسه ، يبرىء ساحته ، ويثبت صفاء ذمتـــه ، ونقـاء سيرته ؟! .. من فعل ذلك ؟ حتى اثار في نفسه ، حمية الدفاع عن ذاته ، والذود عن كرامته ، ودفع المكروه قبل ان ينزل بساحته ، وتصيبه عواقبه ،وينزل به اذاه ..؟! اجل .. من فعل ذلك ؟ انه لم يفعله احد .. فما الذي حمله عليه اذن ؟ ..

ويستعصي عليك الجواب ، لا يرد بــه من تسأله ، ولكنك تسمعه من لسان الحال ، تنطق به حكم الدهر ، وامثال الماضين ..

وما اصدقها من امثال .. وما ابلغه مـــن لسان حال ، حين يرسلها تصيب المحز وتبلغ الصميم ، وهـو يسردها بوقار السنين مرددا : « يكاد المريب .. يقـول خذوني !! »

الايمــــان .. اولا ..

قال لي وانا اجاذبه اطراف الحديث :

ما زلت أجدني حائرا امام هذه الدعوةالرحيمة التي يطالبونك فيها ان لا تبادىء بالعدوان احدا ، وذلك مـن أجل ان يسود السلام عـلى الارض ، ويستتب الامن ، ويعيش الناس في دعة وطمأنينة ..

لقد خيل الي ان أشبه داعية هذا شانه ، بـزارع كثير التفاؤل ، **ينظر الى** حقله الواسع بين يديه ، بما فيه من ماشية وخير ، **فاذا** هو يعد نفسه بالنماء والثراء ..

أليس هو سيزرع الارض الطيبة بالبذار الجيد ؟..

أليس هو سيعلف الماشية فتسمن وتنجب ، والطير فيفرخ ويبيض ؟.. انه سوف يفعل ذلك كله ، فما لـه لا يترقب من بعده النماء والثراء ..

ان مثل هذا الزارع حين يعيش في تفاؤله الجميل، سوف يكون مصابه كبيرا حين تنزل الآفات بزرعه ، فاذا هو هشيم تذروه الرياح ، لا نفع فيه ولا غناء ، وحـين ينتاب طيره وماشيته الوباء ، فاذا هو يقلب كفيه اسفا ، وقد اصبح لا يجد ما كان يحلم به من جني ..

بهذا امثل ذلك الداعية للسلام ، وانا واثق مـــن انني لم اخطىء التمثيل ..

قلت ، افأنت تريد الناس ان يتركوا الدعوة الــى السلام ، ليتركوا الفرصة لذئاب البشر تضاعف مـــن سطوها ، وتزيد من عدوانها ؟..

قال ، وهل كانت هذه الدعوة وحدها كافية لـرد جماح العدوان ، وايقافه عند حده ؟.. انهم لـــو فعلوا ذلك ووقفوا عنده ، لكان عملهم هذا تعلقا بأهداب الامـل الكاذب ، شأنهم في ذلك شأن الزارع الذي لـم يبذل الحيلة والوسيلة فيقرنهما بتفاؤلــه لتستحيل معهمـا تمنياته الى واقع يمتلىء به ناظراه ، وتزدحم به يداه .

قلت ، فما تريد ان يكون مع هـــذه الدعوة اذن ؟ أتريدهم ان يسندوها **باسلحة الدمار والبوار ؟ وهـل** ستكون دعوة سلام عند ذلك ؟

فقال ، ما اريدهم ان يسندوا الدعوة الـى السلام بسلاح .. وما دامت دعوة سلام فلن يكون للسلاح مكان الى جانبها .. ولكني اريدهم ان يؤمنوا بهذه الدعوة ..

ان يؤمنوا بها فقط .. ولن يطالبهم احد باكثر من هذا الايمان .. وعندها سوف يعـم الارض السلام .. وتشملها الطمأنينة ويسودها الرخاء ..

قلت ، صدقت .. انهم لو آمنوا بما يدعون اليه لما ساد في الناس غير المحبة والسلام .

اصـداء .. تتـردد

كنت ادخل عند صاحبي الموظف في شأن مـــن شؤون العمل ، وكان يقف الى جانب مكتبه شاب مـن المبتدئين في الخدمة ، وهو يتلقى مطالبه في كثير من الجفاء ، وبما لا يشعر معه السامع بلين المودة ..

وانتظرت ان يفرغ الحديث بينهما ، ولـــم يكـن حديثا ، وانما كان شيئا يوشك ان ينحرف الى ما يشبه الجدل والحجاج ، او ان شئت قـل ، الى مـــا يشبه المناظرة والمنافرة ..

وانصرف الشاب اخيرا ، وكانت له غاية لـم يصل اليها ، وهذه الغاية هي ان ينفد صبر صاحبي ، ويخرج

عيونك

عيونك فيهـا ضيـاء وفـي — فأسكرت مـن نظـرة ناظـري
واما نظرتـك تنعـم عينـي — ويفرح قلبـي فـي جانبـي
وحـين تصافـح كفـك كفـي — أحس بقلبـك بـين يـدي
ورغـم التمنع طرفـك هـذا — يبـوح بشـيء ويكتـم شـي
كـأن بهدبـك شيئـا يقـول — تعال الـي .. تعـال الـي !

الوجه البديع

وجه كما طلـع الصباح بديـع — هل لـي الى الوجه المليح رجوع
او شمس هاتيك العيون تعود لي — ولها على وجهي الكئيب طلـوع
هي فرصة مـرت علـي هنيهة — ومضت كحلم في الصباح يضيع
عرضت مفاتنها علـي وأعرضت — فأكاد مـن هـذا النقضيـ أضيع
حدثتهـا بلباقـة ولطافـة — فتبسمت وحـلا لهـا الموضوع
ثـم انثنيت متمتما متسائـلا — ما الاسم ؟.. قالت انه ممنوع !

زحلة ــ لبنان — رياض معلوف

عن حلمه ، فيغلظ له في القول ، ويكون بينهما خصام ، يتخذ منه الشاب ذريعة ..

اجل انصرف الشاب دون ان يصـل الى غايته ، بفضل ما تجمل به صاحبي من حلم ، حين تغاضى عـن كل ما سمع ، وحمله ــ متكلفا ــ علـى غيـر محمله . وعجبت من تحامل صاحبي على نفسه ، فقلت له اسأله، ما هذا الذي رايت وسمعت ؟

فقال وهو يبتسم ، هذا هو (الصدى) .. هـل سمعت بالصدى الذي يتردد به الصوت اذا ما اطلقته في واد سحيق او بئر عميق ؟.. هل سمعت بذاك الـذي يسمونه بالانجليزية « صوت سيده » ؟.. ذاك هو الذي رايت .. وذاك هو الذي سمعت ..

فقلت ، وما الذي اراده من عمله ذاك حين اقـدم عليه ؟..

فقال ، اراد ان يتزلف لرئيسه عاتب علي او غاضب مني ، وهو يرى ان خير ما يقربه منه هو ان يسلك هذا السبيل ، فيصل منه اليه بخصومتي ، ولكننـي خيبت امله كما شاهدت ..

ومضى على ذلك حين .. ولقيت صاحبي الموظف من بعده ، فقلت له اداعبه :

« اخبرني هل تبدد الضباب اخيرا عن جبل الشيخ؟ .. وانا اشير الى ما بينه وبين زميله فـي العمل مـن خلاف وعدم صفاء .. !!

فقال وهو يبتسم :

نعم لقد تبدد الضباب اخيرا عن ذلك الجبل ، وعاد الى صفائه واشراقه ..

فقلت اكمل دعابتي له ، وتجاوب (الصدى) فـي (وادي حرمون) عند سفح ذلك الجبل ؟..

فقال ، أجل .. كأنك تسمع وترى .. لقد تجاوب الصدى مع هذا الاشراق ، فليتك شهدت كيف تجاوب..

فقلت ارد على ما تمنى ، ما اغناني عن ذلك ، ومـا اشد زهدي له ، فلقد طال ما شهدت الكثير مـن مثله ، وشهد الكثير من مثله الناس .. وسوف يشهدون ، فهي صورة تعيش مع الناس ما عاشوا ، في كل زمان .. وفي كل مكان .. !!

عمان ــ الاردن — محمد سليم رشدان

الحجة المزورة

بقلم جرجي نقولا

قصة

ماتت خالتي . واذا قلت ان خالتي ماتت فالمعنى انني اصبحت غنيا سعيدا . سل اي واحد من القرية حتى مجنونها يقول لك ذلك. لكن الواقع غير هذا، لقد تبين لنا انه غير هذا. لانه في اليوم التالي لموت خالتي جاء ابناء اخوتها واخواتها يريدون ان يطردوني من البيت بالقوة ! قالوا ان عمتهم تركت لهم كل شيء وحرمتني . هل يعقل هذا ؟ هل يصدق ؟ كانت تحبني وكنت احبها . وكلهم كانوا يرون هذا ويقولون انها سوف تترك لي كل ما تملك . فهل يعقل بعد هذا ان تحرمنا كل شيء حتى قطعة حصير نمد عليها فرشتنا في الليل ؟

انا رجل فقير معدم ، يتيم لطيم ، مات اهلي كلهم في حادثة المقلع المشهورة وبقيت انا وحدي لشقاء الحياة وتعاستها . خالتي كانت قد تزوجت الى قرية نائية ، ثم عادت الى هنا بعد ان مات زوجها واصبحت غنية بما ورثته عنه ، واخذتني الى كنفها ، ايام الحرب وبعدها ، واحبتني كابن لها لو كان لها ابن . ومن سنة تقريبا عندما رأت ان الوهن ابتدأ يدب في اوصالها شيئا فشيئا ، قالت لي:

ـ يا ابن اختي ، انا صرت في اواخر ايامي . او كنت تبحث لنفسك عن عروس لافرح بك قبل ان اموت .

فحنيت رأسي ولم اجب .

ـ ما قولك ان تتزوج فلانة (سعدى ابنة ابو عساف) فهذه قد لا تترفع عن خدمتي اذا سقطت طريحة الفراش لا قدر الله . انا اعلم انك قد لا تكون تحبها ، بنات اليوم وشبابه لا يتزوجون الا عن حب ، اسمالله عليهم ! لكن سعدى فتاة متعلمة ، مهذبة ، جميلة ، هادئة الطباع مثلك ...

ابتسم قلبي من الداخل عندما سمعتها تقول هذا ، اذ انني لا اجرؤ ان اظهر كل عواطفي امامها . قلت :

ـ خالتي ، هل اقول لك سرا ؟

ـ قل .

ـ انه سر كان يحفر في قلبي من مدة طويلة ولم اجرؤ ان اقوله حتى لنفسي .

ـ قله لي .

ـ انا احب سعدى .

ـ صحيح ؟

ـ لكن هي لا تحبني لانني فقير .

ـ كلا لست فقيرا . الجزء الاكبر مما املك هو لك . لك هذا البيت هنا وهذه الجنينة حوله . ولك جورة الزيتون الكبيرة هناك التي تجاور املاك المختار . هل يكفي هذا ؟ ثمنه لا اقل من مئة عثمانية ذهبا .

فلم اجب ، وهل كان باستطاعتي ان اجد شيئا اقوله ؟ وسمع المجنون ، الذي هو جريدة الضيعة ، هذا الخبر. فنقله حالا الى كل اهل الضيعة فانتشر بينهم انتشار النار في الهشيم اليابس . وجاء ابو عساف وعائلته تلك الليلة (سعدى لم تكن معهم في الليلة الاولى) وعملوا لنا سهرة طويلة حتى الصباح . وفي الليلة التالية كنا نحن ، انا وخالتي ، ضيوفهم . وهكذا لم تمض اشهر الصيف حتى كانت سعدى قد اصبحت زوجتي . كان هذا من سنة وبضعة اشهر . وبالامس عندما ماتت خالتي ، واذاع المجنون خبر خداعها وغدرها بي ، صدق الجميع حالا ! قالوا : « المختار يزور حجة ؟ يا عيب الشوم ! حجته هو لا بد ان تكون مزورة ، لانه ماذا فعل ليستحق ان تهبه خالته مئة عثمانية ذهبا ؟ المختار هو زعيم الضيعة ووجيهها ، يبيض وجوهنا امام الاغراب ، يجعل لقريتنا كلمة في الحكومة . ماذا باستطاعة هذا الصعلوك ان يفعل ؟ وما حاجته لكل هذا المال ؟ »

وقال لي المختار بحنان ومحبة :

ـ يا ابني ، نحن لا ننكر ان خالتك كانت تحبك . لكن قضايا الحب شيء وقضايا المال شيء آخر .

ـ لكن هل هذا يعقل يا مختار ؟ انت تعلم اني رجل طيب القلب صاحب وجدان . ولو لم تقل لي خالتي تزوج لما تزوجت . ولو لم تعدني بما وعدتني به لما تزوجت . نفسي لا تهمني ، لكن زوجتي وابنتي الصغيرة ماذا افعل بهما ؟ ماذا فعلتا لتتعذبا كما ساتعذب انا ؟ وفوق هذا قمنا ، انا وزوجتي ، بتعهداتنا كاملة . خدمنا خالتي بدموع عينينا ايضا وليس بسواعدنا فقط . سهرنا عليها الليالي الطوال . نظفناها ونظفنا فراشها دائما دون ان نخاف العدوى ودون ان تشمئز نفوسنا منها . لم نتركها تشكو من اي نقص ابدا كائنا ما كان . وكنتم كلكم ، اولهم انت، تقولون انه من الصواب ان تترك لنا كل ما تملك وليس ما تركت فقط . ماذا حدث الان لكي يتغير رأيكم سريعا وينقلب الى الضد ؟

فهز كتفيه واجاب بهدوء : قلت لك ، قضايا العاطفة شيء وقضايا المال شيء آخر.

ـ لكن هل هذا يعقل ؟ هل هو منطقي ؟

ـ لا يعقل ولكنه حدث . الواقع يدحض المنطق .

ـ حجتنا معنا .

وتناول من جيب سترته الداخلي ورقة ملفوفة على شكل اسطوانة ، بسطها امامه على الارض وقال : تعال واقرأ .

فقمت وقرأت . ولم اصدق حرفا واحدا مما قرأت ، او الاصح لم افهم حرفا واحدا مما قرأت . كانت تشبه حجتي تمام الشبه ، بل وتكاد تكون نسخة طبق الاصل عنها ، مع تغيير الاسم طبعا . فقالت زوجتي ، وكانت ما زالت مالكة لوعيها اكثر مني :

ـ لكن تاريخ هذه الحجة يسبق تاريخ حجتنا بيوم ؟

فاجاب المختار : نعم ، ذلك لان خالتك خدعتك . كتبت لنا حجتنا ثم عادت وكتبت لكم حجتكم . اي انها باعت منكم املاكا لا تملكها !

وقام ومشى وتبعه الاخرون بهدوء . التفت الى زوجتي وقلت :

ـ ماذا تعتقدين ؟

كانت هي تنظر الي ايضا وعلى وجهها كلام.

ـ الا تعتقدين ان حجتهم مزورة ؟

ففتحت فمها لتتكلم ، لكنها تنهدت وحركت لسانها بفمها كانها تبتلع شيئا ، وصمتت .

حجتهم طبعا مزورة . لكن ماذا باستطاعتنا ان نفعل ؟ كيف نكشف التزوير ونحن لا حول لنا ولا قوة ، وهم لهم الحول والطول والمال وكل شيء ؟

هذا هو الشيء الذي ابتلعته زوجي عندما حركت لسانها بفمها كانها تبتلع شيئا ، والذي علي ان ابتلعه انا ايضا صاغرا .

لا نستطيع الا ان نصمت ونرضخ للواقع ، والواقع يدحض المنطق كما قال المختار . لكن هذا الواقع ما هو ؟ من يستطيع ان يرى الواقع على حقيقته ؟ اليس لكل مخلوق وجهة نظر خاصة ؟ بل الا تبدو الاشياء نفسها ، او اكثرها ، مختلفا باختلاف الزوايا التي تنظر اليه منها ؟

اهل قريتي يختلفون على اشياء كثيرة . لكن لم تتفق كلمتهم جميعا الا على ان خالتي خدعتني وحرمتني من ميراثها . كيف حدث هذا ؟ لست ادري . كيف صدقوا هذا الامر

بعد ان كانوا يقولون انه من الصواب ان تترك لي كل شيء وليس ما وعدت به فقط ، لست ادري . عندنا مثل يقول : « اذا وقعت البقرة كثر سلاخوها » . وانا بقرة وقعت لم يبق لها الا ان تنجو بجلدها فقط اذا استطاعت .

جمعت دفاتري واوراقي الخاصة ، وهي كل ما املك . وحملت زوجتي طفلتها الصغيرة مع بقجة علقتها بكوعها ومشت امامي . وما فتحت الباب حتى اندفع صعلوك الى الداخل كأنه كان متكأ الى الباب يصغي الى افكارنا الداخلية . وعندما رأته زوجتي خافت وابتعدت . فاقتربت منه وقلت :

ـ من انت ؟ ماذا تفعل هنا ؟

فوقف ونفض الغبار عن ثوبه واجاب وهو يضحك كالاطفال :

ـ انا ارسين لوبين ، جئت اساعدك .

ـ من ؟ ارسين لوبين ؟

ـ نعم ، ارسين لوبين . الا اعجبك ؟

ـ عجيب !

ـ عجيب ؟ لماذا ؟ هل يستطيع احد ان يحل مشكلتك غير ارسين لوبين ؟ .

ـ بالفعل لا يستطيع احد ان يحلها ، حتى ربما ارسين لوبين ايضا .

ـ لا ، لا توجد مشكلة تستعصي على ارسين لوبين . قل ما هي مشكلتك بالتفصيل .

فلم اتكلم ، وقالت زوجتي وهي تنظر اليه من تحت الى فوق ومن فوق الى تحت :

ـ لقد شاخ ارسين لوبين على ما يظهر ، مع اني كنت اعتقد ان الايام لا تنال منه منالا .

فقال حالا : لو كانت الايام لا تنال منه منالا لما استطاع ان يتقدم مع الايام حتى يصل اليكم .

فصرخت : ـ ماذا تقول ؟ ارى انك لا تخلو من ذكاء يا هذا .

ـ كم هي الثروة التي دعوتني لاجلها ؟

ـ قل لي اولا ، هل انت حقيقة ارسين لوبين ؟ قرأت عدة روايات عن هذه الشخصية الاسطورية حتى تصورتها ..

فقاطعني قائلا بلهجة جادة جازمة بحيث لم استطع الا ان ارد على كل اسئلته باخلاص ووضوح :

ـ لا يهمني كيف تصورتها ، ما هي الثروة التي دعوتني لاجلها ؟

ـ هي هذا البيت هنا وهذه الجنينة حوله وذلك الحقل المغروس بالزيتون هناك .

ـ بكم تقدر ثمنها ؟

ـ ليس اقل من مئة عثمانية ذهبا .

ـ ثروة طائلة ؟

ـ طبعا ثروة طائلة ، تستحق ان تحشد كل قواك في سبيلها . اليس كذلك ؟

ـ طبعا طبعا ..

ـ اين مساعدك روجر ؟

ـ دهسه القطار .

ـ ومساعدتك نانسي ، نانسي كولن ؟

ـ تزوجت .

ـ وارسين لوبين ؟

ـ امامك ما تحتاج اليه منه !.

قالها بسرعة ادهشتني وتركتني مصعوقا . فقالت زوجتي :

ـ لكننا نحتاج الى اكثر من هذا يا هذا . نحن لا ننكر انك شديد الذكاء ، وقد رأينا وسمعنا فصدقنا . لكن ليس هذا ما ينقصنا. نحن ايضا نستطيع ان نفكر ، ونتكلم ، بل ونملأ المجلدات الضخام افكارا ضخمة لم تخطر ببال فيلسوف بعد . لكننا عاجزان ، ولا نستطيع ان نفعل شيئا . ما ينقصنا هو العمل ، العمل ، وليس القول . ما ينقصنا هو رجل يعمل ، رجل قوي العضلات ، يضرب ويقتل دون شفقة او رحمة . قرية كاملة تناصبنا العداء ، وما نحتاجه هو رجل يساوي قرية . انت احييت الامل بقلوبنا عندما قلت لنا انك ارسين لوبين ، ثم امته شر ميتة عندما جعلتنا نصدق انك ارسين لوبين . لان ارسين لوبين رجل ضخم الجثة كما نتصوره ، يابس الراس ، مملوء الوجه بالحفر والاخاديد لكثرة الضربات التي تلقاها . بينما انت .. انت .. انت ..

لم اسمع سعدى ابدا تتكلم كما تكلمت الان ، ولم اعتقد ابدا ان راسها الصغير يمكن ان يحوي مثل هذه الافكار والكلمات . وارسين لوبين كان معجبا بها ايضا ، قال :

ـ مهلا يا سيدتي مهلا . ارى انك تحسنين الكلام فعلا . انت تحتاجين الى شيء ، ولو كنت تعلمين الى م تحتاجين ، لما احتجت الى شيء .

ـ ماذا ؟ لم افهم .

فالتفت الي وقال :

ـ حدثني عن قصتك بالتفصيل .

ـ تتلخص قصتي في ان خالتي ماتت وحرمتني من ميراثها . كانت قد اوصت لي، اعني باعت مني لاننا هنا في لبنان لا نوصي بل نبيع بيعا ولا نقبض الثمن ! اقول انها باعت مني هذا البيت وهذه الجنينة حوله وذلك الحقل المغروس بالزيتون هناك . وعندما ماتت رأيت انها كانت قد باعت منهم كل ما تملك قبل ان تبيع حصتي منه .

ـ تعني انها خدعتك ؟

ـ خدعتني ؟ هذا ما يريدونني هم ان اقوله .

ـ من هم ؟

ـ اخوتها واخواتها وابناؤها وبناتهم بمن فيهم المختار والناطور واستاذ الضيعة ..

ـ حجتك معك ؟

ـ ها هي .

ـ واخذها مني وقرأ :

« انه في تاريخه ادناه حضر بمجلس عقدته حنة ارملة نجيب مخلوف من قرية كسور الرمان وباعت من توما الطحان من محله والمبيع هو قطعتين ارض وافعتين في خراج القرية المذكورة القطعة الاولى المسماة المنقع المشتملة على بيت مؤلف من خمسة غرف ودار وتوت وفاكهة متنوعة يحدها قبلة ملك البائعة وشمالا طريق وغربا طريق وتمامه ورثة اسعد اللقيس وشرقا مشاع والقطعة الثانية بستان زيتون وتوت ومختلف يحده شمالا وشرقا وغربا ملك سالم الدقاق وقبلة طريق عام بيعا باتا بجميع حقوقه واستحقاقه وطرقه وطرايقه وهو له وفيه ومن سائر الجهات بايجاب وقبول وتسليم غب التخلية الشرعية بثمن قدره مئتي ليرة عثمانية ذهبا اقرت البائعة بقبضها منه عدا ونقدا كاملا وغير منقوص ولم يبق لها بالمبيع المحرر ولا بالثمن المسطر ملك ولا شبهة ملك ولا حق ولا دعوى وللبيان حرر في « .... »

(مكان الامضاء وهو بصمة ابهام اليد اليمنى للبائعة وشهادة المختار على ذلك يلي هذا طوابع اميرية ومكان ختم المختار) .

شهد بذلك : مسعود الشاطر

شهد بذلك : حبيب زكور

وعندما انتهى من قراءتها قال :

ـ هل كانت خالتك امية ؟

ـ نعم كما ترى . لكنها لم تكن جاهلة .

ـ اذن الا يمكن ان يكونوا قد خدعوها وجعلوها تمضيها لهم دون ان تدري ما تفعل ، طالما انها لم تكن تعرف القراءة ؟

ـ لا لا ابدا . هذا لم يحدث ابدا . انها لم تكن جاهلة كما قلت لك ، ورب امي كان اكثر ثقافة من متعلم .

ـ هل كانت على خلاف مع احد ؟

ـ لا ، كما اعلم .

ـ متى ماتت ؟

ـ من اسبوع تماما .

ـ اهكذا انتم لا تفكرون بكتابة وصاياكم الا عندما يدنو الموت منكم بهذا المقدار .

ـ فأل سيء ان نفكر بالموت وهو بعيد عنا .

فتفحص الحجة جيدا وقال :

ـ الا يمكن ان تكون هذه البصمة غير بصمتها ؟

ـ لا يمكن ان تكون بصمتها .

ـ لماذا ؟

ـ لانها ليست بصمتها .

ـ ما برهانك ؟

ـ لا برهان عندي سوى ثقتي العمياء بالمرحومة .

ـ اين هي المشكلة اذن ؟ ابق في بيتك ، واذا طردوك منه بالقوة ، عند ذاك يبقى لكل حادث حديث .

ـ ماذا تقول ؟ انت لا تعرف هذه القرية يا سيدي ، وقد برهنت انك لا تعرفني كذلك . انا اصبحت مجرما بنظر كل فرد من افراد هذه القرية . اصبحت سارقا ، مغتصبا ، استحق الضرب والطرد . والمشكلة انني اصبحت بنظر نفسي كذلك ، لانهم يرونني كذلك ولا استطيع ان ابين لهم براءتي

قال وهو لا يزال يفحص الحجة :

ـ قلت لي قبلا ان هذه الاملاك يقدر ثمنها بنحو مئة عثمانية ذهبا ، بينما ارى هنا مئتين ؟

ـ نعم ، نحن ندعو هذه « حجة بسيطة » . وفيها نضاعف الثمن الوهمي عادة ، لانه اذا ظهر وريث شرعي وطالب بحقه بالاملاك ، فالبيع يفسد . لكن هذه الورقة تبقى مثل كمبيالة على البائع .

ـ هل رأيت حجتهم انت ؟

ـ نعم ، مثل حجتنا تماما ، والثمن فيها مضاعف ايضا .

ـ هل لك ان تحدثني عن خالتك قليلا ؟

ـ احدثك ، ماذا تريد ان تعلم ؟

ـ حدثني عن حالتها الصحية والعقلية مثلا .

ـ كانت حالتها الصحية حسنة دائما ، انما كانت تصيبها من وقت لاخر نوبات نقول لها « هزة الحيط » تبقى بعدها بضعة ايام في الفراش منحرفة المزاج . وفيما عدا هذا كانت صحتها حسنة تماما حتى اصابها ذلك المرض الخبيث الذي قضى عليها . اما حالتها العقلية فقد كانت دائما حسنة ايضا ، خاصة عندما كتبت لي حجتي ، وهذه شهادة الطبيب على ذلك . اتريد ان تراها ؟

ـ طبعا اريد .

وعندما انتهى من قراءتها قال :

ـ تاريخ هذه الورقة يسبق تاريخ حجتك بيوم ؟

ـ صحيح ، ذلك ان الطبيب حضر متاخرا تلك الليلة . فكتب هذه الشهادة بينما ارسلنا ولدا يدعو المختار لاتمام المعاملات . لكن المختار اعتذر قائلا انه لا يستطيع الخروج ليلا ، فقال الطبيب لا بأس بذلك لانه لا خطر على صحة المريضة . وهكذا كان ، فذهب وبات ليلته عند المختار ، وفي اليوم التالي كتبنا حجتنا .

ـ ما نوع المرض الذي قضى على خالتك ؟

ـ يقولون انه حمى المصارين ..

ـ قلت لي انها ماتت من اسبوع ، في اية ساعة ؟

ـ في السابعة مساء ، وواريناها الثرى في مساء اليوم التالي .

ـ هل رقدت بالفراش طويلا قبل ان تموت؟

ـ لم ترقد بالفراش بالمعنى الصحيح اكثر من يوم او يومين ..

ـ هل عملتم لها مناحة كبيرة ؟

ـ طبعا ، تليق بشهرتها ومكانتها في الجوار .

ـ ومن اشرف على ترتيب الامور ، مثل استدعاء الكاهن وكتابة اوراق النعوة واسماء المنعيين الخ ... ؟

ـ كلنا اشرفنا على ذلك ، ليس هناك من له وظيفة معينة . ما لم اقله لك بعد هو انهم ابدوا لي كل عطف ومحبة في ذلك الوقت على غير عادة . لكنني قلت في نفسي انهم يفعلون هذا معي امام الغرباء فقط وليس اكراما لشخصي ..

ـ هل يمكنني ان اقابلها ؟

ـ تقابل من ؟

ـ خالتك .

ـ خالتي ؟ ماذا كنا نتكلم حتى الان ؟

ـ ماذا ؟

ـ قلت لك ان خالتي ماتت ، الم تفهم ؟

ـ فهمت . الا يمكنني ان اقابلها وان ماتت؟

ـ تقابلها !

كان امامه حقيبة سوداء اللون لم الاحظ وجودها حتى الان . فانحنى واخذ منها بعض اغراض لم ارها جيدا ، وتناول منظارا علقه بعنقه ، وقبعة وضعها على رأسه ، ثم نظارتين علقهما على ارنبة انفه ووقف وقال :

ـ هيا بنا .

ـ الى اين ؟

ـ الى المقبرة .

ومشى امامي ففهمت وتبعته . قلت لاتكلم فقط :

ـ لماذا هذا المنظار الذي يهتز على خصرك يمينا وشمالا ؟

ـ لعلي احتجته هناك .

ـ لماذا مثلا ؟

ـ لافحص محتويات معدتها ؟ هل تشك في انها ماتت مسمومة ؟

فوقف ونظر الي وقال :

ـ لماذا ؟ هل تشك انت ؟

ـ ابدا .

ـ لماذا تسال اذن ؟

ـ لانك تريد ان تفحص محتويات معدتها .

ـ ها ..

قلت بعد قليل : عندي سؤال .

ـ هات .

ـ هل انت مجنون ؟

ـ كلا .

ـ اواثق انت من ذلك ؟

ـ واثق .

ـ ما برهانك ؟

ـ لا برهان عندي ، وهذا هو برهاني .

ـ ماذا ؟ وكيف يكون عدم وجود البرهان برهانا ؟

ـ يا صديقي ، وجود البرهان يعني وجود الشك اولا . ولما كان الشك غير موجود ، فكيف يوجد البرهان ؟

ـ ماذا تقول ؟ لم افهم .

وكنا قد وصلنا . فوجدتني اندفع نحو باب القبر اقرعه قائلا :

ـ هذا هو قبرها ، هل اقرع بابه ؟

ـ لا ، لان الاموات لا يفتحون ابوابهم الا للاموات فقط . اما نحن فاحياء نستطيع ان ندخل بانفسنا . هيا احفر هنا .

فحفرنا حتى وصلنا الى الحجر الذي يسد باب المدخل ودحرجناه . وعندما سقط شعرت بنسمة من الهواء البارد المثقل بالارواح العفنة تهب وتملأ المكان حولنا . وانتشرت رائحة كريهة لم اشم مثلها في حياتي. فاخذت محرمتي ووضعتها على انفي ، بينما انحنى هو ودخل ، رافعا المنظار وراء ظهره لكي لا يرتطم بالارض وهو نازل . وبعد هنيهة خلتها دهرا خرج ، حيا كما دخل وبيده آلاته جميعها وبينها شيء مستطيل يشبه الاصبع قد يكون قطعة من الشمع استعان بضوئها في الداخل . قلت :

ـ هل وجدت خالتي ؟

ـ وجدتها .

ـ وهل استقبلتك بحفاوة ؟

ـ بكل حفاوة .

★

دخل ارسين لوبين كالعاصفة وتوجه رأسا نحو المقعد الكبير في صدر البيت وجلس عليه . وعندما استقر به المقام وضع رجلا فوق الاخرى ، واثبت نظارتيه على ارنبة انفه ونظر الي من فوقها وقال :

ـ ربحنا الدعوى .

ـ ربحناها ؟ نحن ربحناها ؟

ـ طبعا . ارسين لوبين لا يخسر دعاويه قط ، الا اذا شاء .

ـ كيف ربحناها ؟

ـ ان لذلك قصة طويلة طويلة . لكن المهم خطبتي . فقد القيت فيهم خطبة انتزعت التصفيق من اكفهم انتزاعا .

ـ ماذا قلت لهم فيها ؟

ـ اشياء كثيرة يعرفونها .

ـ يعرفونها ؟ تقول يعرفونها ؟

ـ طبعا . والا كيف صفقوا لي ؟
ـ حسنا ، وبعد ؟
ـ وبعدئذ كشفت لهم اوراقي . بينت لهم ان حجتهم مزيفة .
ـ كيف ؟
ـ جعلتهم يشاهدون اختلاف البصمات على الحجتين .
ـ وهل هنالك اختلاف ؟
ـ طبعا . البصمة التي تحملها حجتهم هي بصمة ميت ، وليست بصمة حي .
ـ ماذا ؟ تعني انهم اخذوا بصمتها وهي ميتة ؟
ـ تماما .
ـ ايها اللعين ! قد يكون الامر كذلك .
ـ قد يكون ؟ انه لكذلك .
ـ وكيف عرفت ؟
ـ هل هذا يحتاج الى ذكاء خارق ؟ لكن دعني اسألك اولا ، من هو ذلك الشخص القصير بينهم ، الاصلع الرأس ، الذي يمشي سلابي الخطى كأنه يمشي في منام ؟
ـ اسمه توما .
ـ توما ؟ لا اعني سائق سيارتك .
ـ سائق سيارتي ؟ ومن اين لي السيارة يا سيدي ؟
ـ ليس عندك سيارة ؟ لمن هذه السيارة التي شاهدتها واقفة بجانب الباب اذن ؟
ـ بابي انا ؟
وتحركت لاقوم وارى ، لكنني تذكرت ان السيارة لا تصل الى باب بيتي لان الطريق غير معبدة . فقلت :
ـ ما قصتك يا هذا ، امجنون انت ؟ ام انك عدت تهذي ؟
لكنه لم يجب لان امرأتي دخلت حاملة القهوة . فتناول فنجانه ووضعه جانبا ، وتناولت انا فنجاني كذلك وشربت منه شيئا وقلت :
ـ قل لي ، ما هو الفرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي ؟
ـ لا يوجد فرق .
ـ لا يوجد فرق ؟ لكنك الساعة قلت ان هنالك فرقا .
ـ انا قلت هذا ؟
ـ طبعا . عندما قلت انك جعلتهم يشاهدون اختلاف البصمات على الحجتين .
ـ نعم قلت ذلك . لكن الواقع هو انني لا اعرف اذا كان يوجد فرق ام لا يوجد . قد يوجد وقد لا يوجد ، لكن هذا لا يهمني . ما يهمني هو اعترافهم ، لا الفرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي . واعترافهم حصلت عليه .
ـ وكيف حصلت عليه ؟
ـ بالخداع .

ـ لكن كيف ؟ هل اعترفوا لك انهم اخذوا بصماتها وهي ميتة ؟
ـ طبعا . وقد اعطوني حجتهم ايضا ، اتريد ان تراها ؟
ـ وكيف لا اريد ان اراها ؟
وتناول من جيب سترته الداخلي ورقة ملفوفة على شكل اسطوانة ، اعطانيها قائلا :
ـ خذ ، مزقها اذا شئت .
ـ اهي حجتهم الاصلية ، ام نسخة عنها ؟
ـ انظر بنفسك .
كانت الحجة الاصلية ، فصرخت :
ـ حقا انها حجتهم . كيف حصلت عليها يا هذا ؟
ـ هم اعطوني اياها . قالوا انها مزيفة ، فلماذا يريدونها ؟
ـ هم قالوا انها مزيفة ؟
ـ نعم ، وقالوا انهم كانوا يمزحون ..
ـ مدهش ! مدهش يا ارسين لوبين ! اسمح لي ان اصافحك بجد وباحترام هذه المرة . لم اكن اصدق انك تستطيع ان تفعل امرا كهذا .
ـ هذا هو السر .
ـ أي سر ؟
ـ انك لم تكن تصدق اني استطيع ان افعل امرا كهذا . هذا كان رأيهم ايضا ، ولو كان عندهم مقدار ذرة من الشك اني استطيع ان افعله ، لما استطعت ان افعل شيئا .
ـ كيف ؟ كيف ؟
ـ حاربونا بالخداع فحاربناهم بالخداع ، وانتصرنا مثلما انتصروا . الا يمكن ان يحدث هذا ؟
ـ يمكن . وبعد ؟
ـ ليست المشكلة في ان تكتشف انهم اخذوا بصماتها وهي ميتة ، هذا يستطيع ان يكتشفه كل انسان اذا كان على مقدار قليل من الذكاء . لكن المشكلة هي في ان تبين لهم ولسواهم ذلك ، وتقنعهم .
ـ وكيف فعلت ذلك انت ؟
ـ بالخداع كما قلت لك . وقد لعب عنصر المفاجأة دوره ايضا .
ـ عنصر المفاجأة ؟ كيف ؟ حدثني عن ذلك .
فتنحنح وسعل ، وركز نفسه في مكانه جيدا . وقبل ان يبدأ بالحديث تناول فنجان القهوة من جانبه وافرغه في جوفه دفعة واحدة كأنه يستعد لحديث طويل . لكنه ما كاد ينتهي منه حتى قلب شفتيه اشمئزازا وقال :
ـ قهوتك مالحة .
ـ مالحة ؟
ونظرت بطرف عيني الى زوجتي ، قائلا بنفسي انها قد تكون اخطأت فاستعملت الملح

بدلا من السكر كما حدث ذات مرة . وقبل ان اتكلم اسرع ارسين لوبين يقول كأنه يعتذر لابداء هذه الملاحظة :
ـ اسمعني جيدا : هم مثلنا ، لا يعرفون الفرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي ، ولا يعرفون اذا كان هنالك فرق ام لا ، مثلنا تماما . اليس كذلك ؟
ـ طبعا .
ـ ويعرفون اننا لسنا اشد ذكاء منهم ، ولا اكثر خبرة من هذه الجهة ؟
ـ وبعد ؟
ـ قالوا بانفسهم : اذا خطر له اننا اخذنا بصمتها وهي ميتة ، فهو لا يستطيع ان يثبت ذلك . لانه اذا كان هنالك فرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي ، فهو لا يستطيع ان يظهر هذا الفرق بسبب ضعفه وفقره . اما اذا لم يكن هناك فرق ، وهو الارجح ، فيستحيل عليه اذ ذاك اظهار الحقيقة الا بشهادة شاهد او اكثر . ومن يشهد معه ضدنا حتى وان كان قد رآنا بالفعل نفعل ذلك ؟
ـ صحيح ، لا احد .
ـ ماذا يبقى لك اذن سوى ان تحمل فرشتك وتمشي ، نادبا سوء حظك مذيعا على الناس خبر غدر خالتك بك وخداعها ؟
ـ صحيح هذا ما كنت سأفعله .
ـ ها قد عرفنا هذا نحن، فماذا باستطاعتنا ان نفعل ؟ اذا تركناهم يرفعون علينا دعوى ، فقد تطول المسألة . وقد يربحونها هم ، هذا اذا لم نتخل عنها نحن !
ـ صحيح . ماذا نفعل اذن ؟
ـ قلت بنفسي : هم اقوياء واغنياء ، ونحن فقراء وضعفاء . هل لهذا السبب نجحوا في خداعنا واستولوا على املاكنا ؟ كلا ، ليس لهذا السبب .
ـ لماذا اذن ؟
ـ لانهم عرفوا اننا ضعفاء ، وليس لاننا ضعفاء بالفعل . عرفوا حدود قوتنا تماما . لكن نحن لم نصارعهم قوة بقوة بعد ، وهذا ما حاولت ان اتجنبه دائما وقد نجحت . بل صارعناهم خداعا بخداع . قلت بنفسي : لقد عرفنا كل هذا عنهم ، وعرفنا من عرفوه عنا . افلا نستطيع ان نهاجمهم نحن ايضا من الجهة التي هاجمونا منها هم قبلا ؟ وبكلمة اخرى : كانوا هم المهاجمون اولا ، وقد هاجمونا بناء على معرفتهم لنا وانتصروا . والان نحن المهاجمون . فاذا عرفنا حقيقة ما عرفوه عنا ، افلا يمكن ان ننتصر عليهم مثلما انتصروا علينا هم ؟
ـ يمكن . كلامك منطقي لا غبار عليه . لكنه يحتاج الى شرح اكثر .
ـ كانت النقطة الهامة هي نجاحي في عدم

...من المدرسة الى القوة . بقيت معركة ذكاء وحيلة ، على الصعيد الذي بدأت فيه اولا .

ـ حسنا . لم تقل لي بعد كيف تغلبت عليهم وكيف جعلتهم يعترفون .

ـ لا استطيع ان اقول لك ذلك .

ـ لا تستطيع ؟ لماذا ؟

ـ لانه يصبح علي اذ ذاك ان اعيد على مسمعك ذلك الخطاب الطويل الذي القيته على مسامعهم . وذلك الخطاب لم يؤلف لك انت ، فاذا اعدته على مسمعك فقد تحسبني مجنونا . ثم ان هذه الساعة غير تلك ..

ـ وما علاقة الساعة بالامر ؟ ولماذا انا احسبك مجنونا وهم لا يحسبونك ؟

ـ يا صاحبي ، قلت لك قبلا انني لم اقل لهم الا كل ما يعرفونه فدهشت . انا بالواقع لم اقل لهم الا كل ما يعرفونه ، وهم يعرفون اني لا اعرف اكثر مما يعرفون هم . لكنني عندما قلت لهم ما يعرفونه ، ولا يعرفون اني اعرفه ، « ومع ذلك فقد اكون اعرفه ولكنني اوهمتهم ذلك » فوجئوا كما فوجئت انت ، فضربت ضربتي القاضية .

فصمتت قليلا وقلت :

ـ لم افهم شيئا بعد . ماذا قلت لهم ؟ هل هناك شيء لا تعرفه ولكنك اوهمتهم انك تعرفه ؟

ـ تماما .

ـ ما هو ذلك الشيء ؟ قبل ان تتكلم دعني اخمن : ذلك الشيء هو معرفة ما اذا كان هنالك فرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي ام لا ؟

ـ تماما . ابتدأت تفهمني .

ـ ليس جيدا . فسر لي كيف فعلت هذا ؟ كيف اوهمتهم انك تعرف هذا الامر بينما انت لا تعرفه ؟

فتحرك في مكانه وقال :

ـ قد يصعب هذا قليلا ، لانه يتعلق بالظروف ، وبالشخصية ، وبالاحوال التي تكون فيها تلك الشخصية . احيانا كثيرة نستطيع ان نعلم ماذا يقول شخص ما وكيف سيتصرف ازاء امر معين بناء للظروف التي تحيط به والحالة التي هو فيها . اليس كذلك ؟

ـ صحيح .

ـ فاذا كنت انت ذا حيلة مثلا وعرفت الشخص جيدا وعرفت كيف تخلق له ظرفا معينا ، افلا تستطيع ان تعلم ، او ترجح على الاقل ، كيف سيتصرف في ذلك الموقف فتبني دفاعك او هجومك بناء على هذا ؟

ـ ممكن . ممكن .

ـ فلنأخذ مثلا : انت . الا تحسب نفسك اشد ذكاء من اعدائك كلهم ؟

ـ لا .. ليس تماما . لكن فلنقل هذا اذا شئت .

ـ يعجبني تواضعك ! انت فعلا اشد ذكاء منهم . ومع ذلك خدعتك الان اكثر من مرة .

ـ انت خدعتني ؟ كيف ؟

فقال وهو يشير بيده نحو فنجان القهوة الفارغ :

ـ عندما قلت لك قهوتك مالحة ودهشت . هل تذكر ؟ ولكي تفسر هذا الامر نظرت بطرف عينك الى زوجتك ، قائلا بنفسك ولا شك انها قد تكون اخطأت فاستعملت الملح بدلا من السكر .

ـ صحيح . هذا صحيح .

ـ لكنك لم تنظر الى نفسك ، ولم تقل اني قد اكون اخدعك . ونسيت ايضا انك كنت قد شربت شيئا من قهوتك عندما تناولت الفنجان .

فقلت وانا اضحك :

ـ صحيح ، صحيح . انت على حق ، اخطأت .

ـ أخطأت ، نعم . انت وثقت بي الى هذا الحد . وقد علمت انك بالامكان ان تثق بي الى هذا الحد عندما دخلت وقلت لك سيارتك بالباب ، فتحركت من مكانك لترى !

ـ صحيح . اخطأت هنا ايضا . انت رائع يا ارسين لوبين .

ـ كان خطأ بسيطا . ومع ذلك كان بالامكان ان تترتب عليه امور كثيرة خطيرة اذا وجد من يعرف كيف يستغله ويضرب الضربة القاضية في وقتها .

ـ أهذا ما فعلته معهم انت ؟ ما هو الخطأ الذي ارتكبوه هم ؟

ـ بل قل الذي دفعتهم الى ارتكابه انا .

ـ الذي دفعتهم الى ارتكابه انت ، ثم ضربت ضربتك القاضية ؟

ـ اذا كنت انت مثلا لا تعرف الفرق بين بصمة الانسان وهو حي وبينها وهو ميت ، وجاء شخص وقال لك انه يعرف ، ماذا تفعل ؟

ـ ماذا فعلوا هم ؟

ـ طلبوا مني ان اظهر لهم هذا الفرق . اليس هذا هو التصرف الصحيح ؟

ـ طبعا . وكيف اظهرته ؟ بحيلة من هذه الحيل ؟

ـ تماما !

ووقف واخذ من جيبه صرة صغيرة اخذ يفك الاربطة عنها . وبينما هو يفعل ذلك سألني :

ـ هل تعتقد ان هناك فرقا بين بصمة الابهام الايمن وبصمة الايسر لشخص واحد ؟

ـ ماذا ؟

ولم اجرؤ ان اقول له رأيي صراحة لئلا **اقع في مقلب اخر من مقالبه غير المتوقعة .** وكأنه فهم هذا ، فنظر الي بطرف عينه وابتسم ولم يعد سؤاله .

وعندما انتهى من عمله قال :

ـ تعال وانظر كيف اظهرته لهم . تعال وانظر البرهان الذي لا يمكن ان يدحض .

فقمت ونظرت ، فاشمأزت نفسي مما رأيت

ـ ما هذا ؟ اصبع آدمي ؟

ـ نعم ، اصبع خالتك . انظر الحبر عليه . وليس وجود الحبر عليه فقط هو البرهان على انهم اخذوا بصماتها وهي ميتة ، بل ان شكل البصمة التي تحملها حجتهم . انظر جيدا وقابل .

فنظرت وقابلت ، وكان الامر كما قال تماما . صرخت اعجابا :

ـ ايها اللعين ! كيف خطر لك ان تذهب وتأتي باصبعها ؟

ـ اليس هذا وحده كافيا لان يجعلهم يعترفون ؟

ـ طبعا .

ـ ليس طبعا ! ان الذي جعلهم يعترفون هو معرفتهم ويقينهم انه ابهامها ، وانه ابهامها الايمن . وليس شكل الحبر عليه .

ـ ماذا تقول ؟ قد يكون غير ابهامها الايمن ايضا ؟

ـ قد يكون الايسر . وقد لا يكون ابهامها على الاطلاق ! لاني عندما اتيت به كان نظيفا مثل ابهامك تماما ، اذا كان ابهامك نظيفا .

ـ ومن لوثه بالحبر على هذا الشكل ؟

ـ انا طبعا . وهذه كانت اصعب مهمة عندي .

ـ الم تكن تخشى ان يكتشفوا خداعك ؟

ـ ولماذا اخشى ؟ ما الذي يجعلهم يشكون؟ اذا كان هنالك سبب لتوجيه مثل هذا الاتهام الي ، فما الذي يمنعهم من توجيه نفس الاتهام حتى ولو كنت احمل الابهام الحقيقي ؟ لكن المسألة ليست مسألة ابهام وحبر على ابهام كما قلت لك ، بل مسألة معرفتهم ويقينهم انه ابهامها ، واني اتيت به من هناك ، وانهم تركوه ملوثا بالحبر كما رأوه الان .

ـ ايها اللعين ! انت فعلا ارسين لوبين العصر الحديث .

ـ كان عندي شك فقط في ان يكونوا قد غسلوا اصبعها بعد ان فعلوا فعلتهم الشنعاء هذه . ولهذا قمت بزيارة الى قبرها . ولكم كان سروري عظيما عندما رأيت انكم تلبسون القفازات لامواتكم ! لان هذا وفر على المجرم غسل يدها ، فوفر علينا كثيرا من المتاعب .

ـ توما ! توما اللعين هو الرأس المدبر لهذه المؤامرة الدنيئة كلها على ما يظهر .

الجرح في الصخور

صديقتي ..
أهل ترى ستعلم السحابة
بأن غيضها سيستحيل تحت سقف بيتنا .. كآبة
أتعلم المتعبة الحزينة
بأنها لن تغسل الشرور والضغينة
من أسطح المدينة
أتعلم المرعدة المسكينة
بأنها تعود مرة أخرى الى رماد البحر
مدفونة تحت ظلال القهر
لا تعصر النهار .. لا تستنشق السماء
ولا تذوب تحت الشمس والضياء
حالمة بالموسم الجديد

صديقتي ..
لو انني كسوت نسغ حبنا
ببرعم الخلود
لالتفت السنون حوله
وفتحت له مغالق الرواء
لكنني صديقتي كسوته بالصيف والصخور
فالتفت التعاسة السوداء حوله
وابتعد النهار ، ماتت الزهور
صديقتي
أحسب ان وقتنا
يسحقنا ويسحق الخلود عندما يدور

شعاعك خيط فجر جاء عبر الدار ،
عبـر الحزن ،
عبـر أنين آهاتي ..
وعبر خوافق الذكرى
ونهر الليل يهمي من جراحاتي ..
يجن دمي الى الاشواق ،
أنوي وأد لحظاتي ..
أنادي عبر سور الشارع المسدود
أبحث عن بقايا الزهر والطل
وحين أسير في الظلمة
تغمغم أحرف الاشراق في وجهي
فأنسى الجوع والدمعة
وأبحث عنك يا حبي ..
امني النفس بالرجعة ..
وخلف تشوقي للفجر يا حبي ..
أناديك ...
أناديك ...

نبوءة الصيف تقول أن هذه السحابة
لن تزرع الكآبة ..
وسوف تغسل الاضغان ،
سوف تزرع الزهور تحت الغابة
وتعزف ((الشبابة)) ...
صديقتي ..
وعندما أبحرت عبر الساحل المضاء
كسوت نسغ حبنا ببرعم الخلود ..
فالتفت السنون حوله ..
وفتحت له مغالق الرواء ..

دمشق — صبحي حديدي

تذكرت الان ، هو الذي اشترى القفاز قائلا ان الباس القفازين للميت دليل اهميته واحترام اهله له . عرفت الان ما معنى كرمه الحاتمي ، هذا الرجل البخيل .

— نعم ، توما الرأس المدبر لهذه المؤامرة . انه ذكي ، يحسب لكل امر حسابه . فستريدها بالقفاز اهون من غسلها بالماء والصابون في بيت ليس بيته . لكنه لم يحسب اننا قد نعلم هذه الاشياء كلها ونفاجأه بها دفعة واحدة .

— بل لم يحسب ان خصمه هو ارسين لوبين لا سواه .

وضحكنا طويلا ، ثم وقف وقال :

—اتريد مني شيئا بعد ؟ هل تسمح لي بالانصراف ؟

— طبعا ، اريد منك اشياء كثيرة ، اولها أن تبقى عندي الليلة .

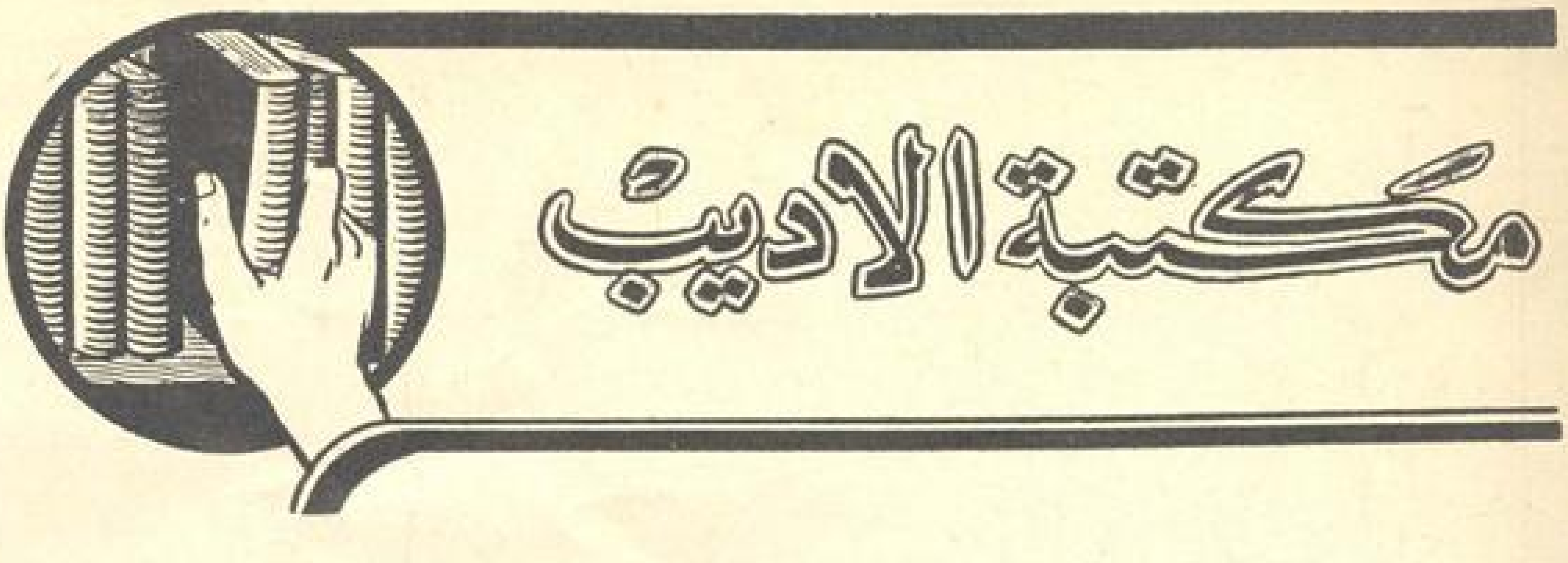
— شكرا لك .

— بل الشكر كل الشكر لك انت . لا اعرف بالحقيقة كيف اكافئك .

— كافأتني بمحبتك واخلاصك . الى اللقاء .

واختفى حالا قبل ان اقول له كلمة واحدة من الكلمات الكثيرة التي ما زلت حتى الان تجول على شفتي ولا اجد من اقولها له ..

جرجي نقولا



درتان فريدتان في العلوم اللغوية والعلوم الخلقية

تاليف حبيب الخوري ـ ٢٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة العصرية بالقدس

هذا كتاب نفيس ، اصدره مؤلفه الاستاذ حبيب الخوري تتويجا لحياة تخطت التسعين ، ولعمل في حقل التعليم والتربية تجاوز السبعين ، وهو حتى بعد ان تخطى التسعين يشعر بانه لا يزال معلما ، يعيش مع الطلاب في مراحل الدراسة .

في عهد الشباب والقوة كان يناقش قضايا اللغة والادب مع الطلاب مشافهة ، وهو اليوم يناقشها في كتاب يقدمه اليهم لكي يقرأوه ويستفيدوا من علم صاحبه ، واختباراته ، ودراساته التي استغرقت سبعين عاما متواصلة .

الصفة الكبرى لكتاب الاستاذ حبيب الخوري هو انه كتاب تعليمي ، وان صاحبه معلم فحسب : القسم الاول من الكتاب يعلم اللغة والادب ، وما يتفرع عنهما من قضايا ، بما في ذلك التدرج مع تاريخ الادب العربي ، والقسم الثاني يعلم الخلق والفضيلة ، دون ان يتخلى عن اسلوب المعلم وطريقته في « الحث » وفي « الدعوة الى الممارسة » .

ولم يقدم حبيب الخوري على تاليف هذا الكتاب ـ وقد الفه ، كما قال لي اخيرا ، في الثمانينات من عمره ـ الا بعد ان حالت شيخوخته المباركة دون تمكنه من الاتصال الشخصي المباشر بالطلاب في مدارسهم ، فاراد ان يستمر اتصاله بهم عن طريق الكلام المكتوب .

لقد تتلمذ على الاستاذ حبيب الخوري في فلسطين ، في عهد الانتداب البريطاني ، ألوف الطلبة في الكلية العربية وغيرها من مدارس فلسطين ، واستفاد منه ألوف آخرون وهو يعمل مفتشا في ادارة المعارف الفلسطينية ، ثم في العديد من المدارس في ضفتي الاردن بعد عهد الانتداب .

وحبيب الخوري عاشق متيم بثلاثة أشياء : التعليم ، واللغة العربية ، ونبل الخلق ، وهذه المعشوقات الثلاث هن خلاصة كتابه ، وهن مدار أبحاثه .

اما التعليم فقد رأينا مدى تعلقه به في حياته كلها ، واما اللغة العربية فان اعتزازه بها قد دفعه الى ان يكرر اكثر من مرة في ثنايا كتابه « ان هناك اليوم لغتين تغمران العالم بأسره ، هما : الانجليزية والعربية » ، وان العربية « قد صرعت بقوة حيويتها كل لغة احتكت بها ، ولم تزل ثابتة منذ أربعة الاف سنة ، تقابل غير الدهر بما أوتيت من محاسنة ، ورحابة صدر ، وذلك بفضل اشتقاقها الفذ ، وتنوع مجازها العجيب ، وهيمنة كتابها الكريم » ، وانها « اغنى لغات العالم في التعبير عن النواحي العاطفية » . وهو لذلك حريص كل الحرص على ان يحافظ عليها أبناؤها ، ويحرصوا على تطويرها تطورا نحو مزيد من القوة والغنى والجمال .

واما نبل الخلق فالدليل عليه ان المؤلف قد خصص نصف كتابه للحديث على الفضائل والاخلاق السامية ، وافاض في ذلك كله ، ضاربا الامثال من التاريخ ومن حياة الشعوب واساطير القدماء ، ومن كل ما استطاع ان يستعين به للحث على ممارسة الفضائل والاخلاق القويمة .

في القسم الاول من الكتاب كرس المؤلف قسطا كبيرا للحديث على اللغة العربية وعلومها ، وقواعدها ومعاجمها ، ثم تطرق الى الادب العربي والآداب العالمية ، ولكنه افاض في حديث الادب العربي وتاريخه ، ومزاياه ، والمعلقات ، وعن الانشاء وخصائصه وتطوراته في مختلف عصور التاريخ العربي ، واساليبه من عهد ابن المقفع حتى اسلوب طه حسين وتوفيق الحكيم ، وعن شوائب الانشاء ووجوب اصلاحها ، وتحدث على فن التلخيص وطرائقه ، ثم عاد الى اللغة فراح يصوب العديد من الاخطاء الشائعة على الاقلام .

في هذا الجزء بأسره كان حبيب الخوري معلما للعربية : موضوعه مدرسي ، واسلوب معالجته مدرسي ، وهدفه مدرسي كذلك ، حتى لقد كان الشعور الذي رافقني في قراءة الصفحات الـ (١٦١) الاولى ، انني طالب يصغي الى استاذه يشرح له دروس اللغة والادب باسلوب المعلم العريق في مهنته . ولم استطع ان اتخلص من هذا الشعور .

وفي نهاية هذا القسم يأتي مقال عن « الكوميديا الالهية » . المقال ليس لحبيب الخوري بل لابنه المرحوم فؤاد الذي قضى في ريعان الشباب . والمقال يدل على دراسة وفهم للكوميديا الالهية ، وعلى مقدرة عقلية في البحث والنقاش والاستنتاج .

ثم يأتي القسم الثاني الخاص « بالعلوم الخلقية » والذي يهدف المؤلف من ورائه الى ان يعمل الناس في الدنيا لما فيه سعادتهم وسعادة الآخرين ، لان السعادة مشاركة وليست امرا يستطيع ان ينفرد به الانسان عن الآخرين . والسعادة لا تكون الا بتبادل المحبة ، لان المحبة هي اساس كل فضيلة ، وكل خلق انساني .

وكما ختم المؤلف القسم اللغوي من كتابه بمقال لابنه فؤاد ، كذلك ختم القسم الاخلاقي منه بفصل لابنه الآخر المرحوم شكري عنوانه « بين الدين والعلم » . وخلاصة هذا الفصل ان « العلم الصحيح لا يناقض الدين ، وهل يمكن ان يتناقض امران مصدرهما واحد ؟ »

هذا هو كتاب الاستاذ حبيب الخوري « درتان فريدتان في العلوم اللغوية والعلوم الخلقية » بكلمة موجزة ، ولم اشأ الافاضة في الحديث ، لان الافاضة قد تؤدي الى تشويه بعض ما فيه مما يحرص الاستاذ على تأديته من رسالة للطالب في مدرسته وللانسان في حياته .

عمان ـ الاردن　　　　عيسى الناعوري

•

قالت له ..

تأليف محمد زكي عبد القادر ـ ١٤٤ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر القاهرة

يتمتع الاستاذ محمد زكي عبد القادر باحترام كبير بين الصحفيين والادباء والقراء العرب ، وذلك لانه رجل جهاد وواقعي ، ويتكلم عن

عقيدة ، ويصدر عن ايمان ، ويبعد كل البعد عن التهريج والتبرير الذي يتميز بهما عدد غير قليل من كتابنا الصحفيين ، ونحن نطالع له كل يوم رأيا وكلمة يتميزان بالصدق والواقعية ويبعدان عن المبالغة والتهويل . انه يقول رأيه وكلمته كما يعتقد دون ان يساير الآخرين او يمشي في تيارهم ولو كانوا الاغلبية الساحقة . الا انه يعرض رأيه في رفق ، ويقول كلمته دون ان يثير المعارضين له ، انه يغزو عقل الصديق وغير الصديق ، والمشايع والمخالف في رشاقة اسلوب ، وتناسب الفاظ ، وقوة تعبير .

وكتابه « قالت له .. » مجموعة من الآراء صيغت في قالب حوار بين رجل – أي رجل – وبين امرأة – أي امرأة – وهو يريد بهذا الحوار ان يقول لنا رأيه في العلاقة بين المرأة والرجل ، ويناقش المشكلات التي طرأت على هذه العلاقة وفرضتها ظروف الواقع الذي يتغير بسرعة ، ويتأثر بالتطور في المجتمعات الاخرى . ان العلاقة بين الرجل والمرأة لم تعد كما كانت في القرن الماضي او حتى المنتصف الاول لقرننا العشرين .. لا .. فقد تغيرت هذه العلاقة تغيرا كبيرا خاصة في مجتمعنا المصري الذي خرجت فيه المرأة الى العمل ، وكثرت بعد ذلك تطلعاتها الى الآخرين . انها تخوض حياة جديدة لم تخضها أمها وجدتها .. وعلى هذا فانها تشعر امام الرجل المعاصر بمشاعر مختلفة ، وعلى ضوء هذه المشاعر تتصرف ، وتصوغ قواعد السلوك . وليست المرأة هي التي تغيرت ، فالرجل ايضا اصابه شيء غير بسيط من التغير والتطور ، لقد رأى الرجل امامه امرأة تعمل معه في المصنع او المكتب ، وتقابله في الطريق ، وتمشي امامه على شواطيء المصايف وتتنقل بين مكان ومكان في حرية وانطلاق .. انها علاقة جديدة من غير شك وفي حاجة الى تنظيم وتقنين بحيث ينسجم البناء الاجتماعي ويتآلف الكيان الانساني للمجتمع .

ومحمد زكي عبد القادر لا يتناول مشكلات المجتمع الجديدة بين المرأة والرجل ، بل ينظر الى اعماق الرجل واعماق المرأة التي كانت منذ الازل ، والتي ستظل الى الابد . انه يرنو الى العقل والعاطفة والغريزة والايمان والعقيدة .. ويناقش كل ذلك في حوار طريف بين رجل مجهول وامرأة مجهولة .

واحيانا يقف محمد زكي عبد القادر عند شيء ما دون ان يبدي رأيا او يقول كلمة قاطعة ولكنه يكتفي بالتساؤل ووضع علامة الاستفهام ثم يمضي دون ان يعطينا رأيا محددا نحسبه عليه ونحاسبه به .

وقد يستغرقنا الحوار فلا نعرف ماذا يريد ، ما يقوله على لسان المرأة او على لسان الرجل ، ولكن القارىء الواعي والمتأمل المخلص يستشف ما يبتغيه المؤلف ، ويفهمه بسهولة ، اللهم الا اذا لجأ الى الفلسفة او الآراء الفلسفية التي تدير الرأس كما يقول .

ونلمح من خلال الحوار كثيرا من التعريفات الجديدة للحياة والحب والحنان ... الخ .. يقول في حوار :

« قالت وهي تمضغ احزانها : اعطني الحنان .. لست في حاجة الى الحب .

أجاب : كل امرأة تقول هذا ، ولكن ما هو الحنان ؟

– صدر يعرف ويغفر ويصبر ويرضى .. يشارك في الحزن والمسرة »

ومن بين تعجب محمد زكي عبد القادر تلك الصورة : « من يدري .. ما أعجب العواطف وما أعجب المرأة .. يختلط عندها الحب بالعبادة ، ويختلط الايمان بالحب » ! ولعل المرأة ترى في الحب شيئا من الحماية ، او قل هو الحماية كلها ، فان الضعف في النفس الانسانية – والذي نصيب المرأة منه كبير – يجعلها تلجأ الى من يحميها ، ومن يجبر هذا الضعف ، او على الاقل يعوضه . والملاحظ ان من يملك القوة هو الله في السماء والارض بيد ان الانسان حين ينظر الى من حوله يجد القوة لدى ابيه وامه واهله وذلك بدافع الحب الذي

الاديب



⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

يربطهم به او يربطه بهم ، والحبيب اول من يتوجه اليه القلب ، فيحتمي به من خوف ، ويطمأن اليه بعد خوف . ومن ثم فلتكن صلاة المرأة للحبيب وفي محراب الحب ، فان ذلك لا ينفي طبيعتها او طبيعة الضعفاء بالمعنى الكامل الشامل .

واسلوب محمد زكي عبد القادر معروف بالسلاسة والسهولة ، ورقة الالفاظ في تكامل تعبيري شفاف ، لا تكلف فيه ولا افتعال ، والاحرى ان يوصف هذا الرجل بانه اديب ، وليس صحافيا ، فسمة الادب هي الميزة وهي الغالبة رغم اشتهاره في عالم الصحافة والصحافيين .

الاسكندرية **حلمي محمد القاعود**

•

١ – الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ

تأليف يعقوب عبد العزيز الرشيد – ١٤٢ صفحة – حجم كبير – مطابع دار الحياة ببيروت

صرفت ساعات حلوة في مطالعة كتاب « الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ » لمؤلفه الدبلوماسي الاديب الاستاذ يعقوب الرشيد نجل مؤرخ الكويت الاول المرحوم عبد العزيز الرشيد . ولقد خرجت من هذه المتعة الفكرية بمجموعة من الانطباعات عن هذا الاثر القيم دونك تفصيلها :

١ – سعة اطلاع الاستاذ الرشيد على احداث التاريخ وحوادث الماضي ونصيب الكويت منها في مختلف الادوار والعصور .

٢ – غيرة ابداها الاستاذ يعقوب على الكويت مسقط رأسه فانتضى قلما مرهفا خصبا في الدفاع عنه بالارقام والوثائق التي تثبت استقلاله وبعده عن أية حماية او وصاية .

٣ – جاء الاسلوب الذي عالج به أخونا الاستاذ يعقوب فصول كتابه القيم اسلوبا رفيعا اتسم بالدقة ورهافة الذوق وتفادى الحوشي من الالفاظ ، واسمعه يقول بلهجة الصدق والصراحة :

« الكويت وطني ووطن الاحرار الشرفاء ، وكل حفنة من رماله ، وكل شبر من شطآنه مخضب بانهار من الدماء والدموع. وهو بحدوده المعترف بها كيان ضروري لاستمرار حياة كل كويتي ، فهو لا يراه ويحبه ويفتديه فحسب ، بل يعيشه ايضا .

ان الكويت لنا نحن الكويتيين واقع تاريخ وحياة مصير ، فليس لحياتنا معنى دونها ، وليس لوجودنا اثر اذا خدش استقلالها او نيل من شخصيتها ! »

بمثل هذا الاسلوب الرفيع دافع اخونا الاستاذ الرشيد عن حياض موطنه ودلل للعالم اجمع على ان الكويت كانت وما برحت قطرا عربيا مستقلا استقلالا ناجزا .

فليتقبل الاستاذ يعقوب التهنئة على هذا السرد الموفق ونرجو ان نقرأه في مؤلفاته القادمة اديبا رفيقا وعربيا مؤمنا آمن بعروبته فانبرى للدفاع عن كل شبر من دنيا العرب وكان له من غيرته في الدفاع عن القضية الفلسطينية ، قضية العرب الكبرى ، جولات دبلوماسية مشكورة خلال عمله السياسي في الباكستان والهند .

٢ – خبأنا الصواريخ في الهياكل

تأليف ثريا ملحس – ٥٤٦ صفحة– حجم كبير – مطبعة الغريب ببيروت

لا اذكر اديبا معاصرا سخا على ادبنا العربيسخاء متواصلا بالقدر الذي سنحت به الشاعرة الاديبة الاستاذ ثريا ملحس ، ففي كل عام تضفي على الخزانة العربية كتابا او اكثر .

فبعد ديوانها الشعري « محاجر في الكهوف » الذي صور في اعقاب عام ١٩٦٧ نشرت في ربيع هذا العام ديوانا جديدا اسمته « خبأنا الصواريخ في الهياكل » وفيه عالجت بريشتها الساحرة موضوعات شعرية جريئة اتسمت ، اطارا ومضمونا ، بالطرافة والمتعة.

٣ – صور من البطولة

تأليف سليمان موسى – ٢٢٠ صفحة – حجم كبير – المطبعة الهاشمية بعمان

عشق الاستاذ سليمان موسى كتابة السير واوغل في البحث عن شخصيات لعبت دورا هاما في الثورة العربية الكبرى التي حمل لواءها شريف مكة المرحوم الحسين بن علي . وكتاب « صور من البطولة » تناول فيه الاديب المحقق صورا مشرقة لشخصيات مرت حديثا بهذا الجزء الاردني من العالم العربي امثال : ناصر بن علي ، عودة ابو تايه ، علي الحارثي ، فؤاد سليم ، احمد مريود ، مولود مخلص ، سعيد العاص ، محمد علي العجلوني ، صبحي العمري ، لكن الناشز في هذا السرد حشره صورة الشيخ ظاهر العمر الزيداني (١٦٩٠ – ١٧٧٥) ولو اقتصر على من أرخلهم او لو انه جلا لنا صورة البطل المجاهد سعيد عمون لجاء العرض منسجما والصور متساوقة .

وبالرغم من هذا المأخذ فلقد اجاد الاستاذ سليمان بهذا الاثر الماتع الذي يستحق عليه الكثير من الشكر .

٤ – أهل العلم والحكم في ريف فلسطين

تأليف المرحوم احمد سامح الخالدي – ٢٦٠ صفحة – حجم كبير – من منشورات دائرة الثقافة والفنون الاردنية – طبع جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان

اضطلعت دائرة الثقافة والفنون الاردنية بنشر طائفة من الكتب القيمة كالثورة العربية الكبرى – وثائق واسانيد ومخطوطات البحر الميت وخمسون عاما في فلسطين وبين امريكا وفلسطين .

وآخر هذا العقد الفريد « اهل العلم والحكم في ريف فلسطين » وهو من الآثار المخطوطة التي خلفها المربي المرحوم احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية في بيت المقدس وكان همة المؤرخ الامين الاستاذ محمود العابدي مدير دائرة الثقافة والفنون ان قام باستنساخ هذه المخطوطة والتدقيق فيها ومطابقتها على الاصول واضافة بعضالتعليقات في أسفل الصفحات ، وهو جهد مشكور للاستاذ العابدي الذي بادر الى انقاذ هذا الاثر منالقرضة واخرجه في ثوبقشيب الى عالم النور.

والكتاب الذي نحن بصدده يتناول جغرافية فلسطين وحاصلاتها ومناخها وقراها ومشاهير أهل العلم والحكم في ريفها العربي ، وقد رتبه الاستاذ محمود ترتيبا ابجديا والحق به ثبتا باسماء الاعلام الذين ورد ذكرهم في هذه الموسوعة .

وكان من غيرة الاقتصادي الكبير السيد عبد الحميد شومان مؤسس البنك العربي ومديره العام ان نشر على نفقته هذا الكتاب الذي تعتز به المكتبة العربية ويرحب به كل مثقف عربي واع .

٥ – درتان فريدتان في العلوم اللغوية والعلوم الخلقية

تأليف حبيب الخوري – ٢٥٤ صفحة – حجم كبير – المطبعة العصرية بالقدس

غرست يمين المربي الكبير الاستاذ حبيب الخوري رجالا في فلسطين ،

وانشأت جيلا من المتعلمين الواعين ، واختطت لهم نهجا قويما في اللغة والعلوم والاخلاق وحضهم استاذ الجيل على التمسك باهداب لغتهم ، وظل يغذي عقولهم بنفثات قلمه على صفحات مجلة « دار المعلمين » وشقيقتها « الكلية العربية » وظل هذا ديدنه الى ان وقعت الكارثة الكبرى في فلسطين العربية عام ١٩٤٨ ، فتشتت السمار وانفض سامرهم !

وبالرغم من السنوات التسعين التي اجتازها هذا المربي الفاضل، وبالرغم من الهموم التي عصفت به وهو كهل وشيخ ، وبالرغم من المصائب التي اختطفت وحيديه فؤادا وشكري ، ظل هذا الشيخ الصبور حفيا بالحرف ، وفيا للكلمة ، وواصل جهده في حقلي التعليم والكتابة ، متحديا صروف الايام وعواديها ، منشدا نفسه قول فقيد ادبنا المعاصر المرحوم جميل دياب :

خلق جموح ونفس ملؤها صلف لاتعرف الهون.. يا دنيا .. حدياك!

وبعد التسعين أبت النفس الكبيرة على شيخنا الجليل حبيب الخوري الا ان يزود خزانة ادبنا المعاصر بحصيلة خبراته وثمار معارفه وتجاربه فاقدم ، وهو الواثق من علمه وفنه ، على تصنيف كتاب قيم اسماه : « درتان فريدتان ــ في العلوم اللغوية والعلوم الخلقية » فجاء بحق وحقيق درتين فريدتين ، وجوهرتين نفيستين في اللغة والعلوم واخرجه للايدي قبل ايام وقدمه لطلابه المنتشرين تحت كل نجم (وليمة) دسمة لها نكهتها ، وقال لهم غير مفاخر او مزهو : « هذه وليمتي لكم وانا امسك في تلابيب التسعين ، فكلوا من ثمار تعبي وكد يميني ! »

واذ نشد على يد اديبنا الكبير الاستاذ حبيب الخوري مهنئين معانقين ، ندعو وزارة التربية والتعليم في الاردن الى تقدير هذا الاثر النفيس والافادة منه بعد ان تضعه في ايدي طلابنا ، ونهيب باخوان « الحبيب » وتلامذته ان يهبوا الى تكريمه الذي يفرضه عليهم واجب الوفاء نحو استاذ جليل عمل كثيرا من اجل لغة الضاد وضحى كثيرا في سبيل تنشئة الرجال ، ونشرهم في بقاع الارض سفراء علم ، ورسل عمل واخلاق !

عمان ــ الاردن **البدوي الملثم**

•

الامـام علـي

تأليف روكس بن زائد العزيزي ــ ٢٢٨ صفحة ــ حجم كبير ــ مطبعة النعمان بالنجف الاشرف بالعراق

ابو الحسن الامام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، شخصية فذة خالدة ، لها في تاريخ الاسلام قدم صدق ، وفي حياة المسلمين أعظم الاثر ، واكبر المنزلة ، وهو صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليله واخوه ، وابن عمه السابق الى الاسلام من شباب الهاشميين، وشباب قريش ، والمجاهد بسيفه ولسانه عن الاسلام ورسوله وعن المسلمين ، والناصح الامين لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورابع الخلفاء واجلهم حماسا في سبيل الله ، وفي الدفاع عن دينه ، وعن انسانية الانسان وكرامته ، وحرصا على التزام العدل والمساواة بين المسلمين ، ثم هو زوج فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، وابو الحسن والحسين عليهما السلام .. والمثل الاعلى لكل مسلم على مر العصور والاجيال .

والامام ــ كرم الله وجهه ــ من اعمق خلفاء المسلمين فهما لروح الاسلام ، وجوهر الشريعة . ومن اعظمهم دفاعا عن الروح الانساني ، وعن حقوق الانسان ، وايمانا بقدسية هذه الحقوق .

ولقد كتب عن الامام طول عصور التاريخ ما لا حصر له من المؤلفات والدراسات والآراء ، وخلد الزمن ذكره على مر الاجيال .

وفي عام ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م اعلن في النجف الاشرف عن مسابقة في الكتابة حول شخصية امير المؤمنين علي عليه السلام . وكان هذا الكتاب هو الذي وقع اختيار اللجنة على طبعه ..

ومنذ شهور تلقيت الكتاب ، وفرحت به ، فرحي بعزيز كريم على نفسي ، لموضوعه الجليل الخطير ، ولشخصية مؤلفه التي تحتل من نفوس القراء العرب مكان التقدير والاعجاب . وتأخرت في قراءة الكتاب ، وانا اشد شوقا الى مطالعته ، واكثر نهما في الرغبة في التعرف عليه ، والوقوف لديه ، وبدأت اقرؤه فاذا انا مشدود المشاعر والعواطف اليه ، معجب كل الاعجاب بما جمع الكتاب بين دفتيه ، من تحليل عميق ، ودراسة ذكية ، ومحاولة جادة رائعة لتحليل شخصية الامام ، والوقوف على اسرار عظمته ، وانتهيت من قراءة الكتاب وانا لا ادري أي المشاعر اشد التصاقا بوجداني وقلبي ، وبنفسي ولبي ، فكلها نابعة من منبع واحد ، هو الرضا بما كتب المؤلف ، والاعجاب بما سجل ، والحب العميق لهذه المحاولة الجادة المخلصة ، في الكتابة عن الامام العظيم ، الامام الذي تأتم به اجيال المسلمين ، وتجعله قدوتها في كل جانب ديني او انساني .

سلك العزيزي في الكتابة عن شخصية الامام منهجا متميزا خاصا به ، فالكتاب مقسم الى اربعة ابواب :

الاول : في تحليل اسباب عظمة الامام النفسية ، حيث تحدث المؤلف فيه عن شجاعة امير المؤمنين عليه السلام وحلمه ، وزهده وتواضعه ، وسخائه وعدله ، وحكمته وفراسته ، وانسانيته ، وسداد رأيه . وقدم لهذا الباب بكلمة بليغة جعل عنوانها « بين يدي الامام » ثم يرسم صورة للامام ، وبالحديث عن ميلاده . وختمه بالحديث عن عصره ، وجمعه وترتيبه للقرآن الكريم .

والثاني : في تحليل جوانب عظمته السياسية ، حيث تحدث فيه عن مبايعته للخلفاء ، وعن أخذ البيعة له ، وعن حكومته وسياسته ، وعن موقفه من مشكلة الفقر ، وموقفه من عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وعن اضطهاد الامام وكيف حورب حيا وميتا، وعن علمه . وفي بحث اضطهاد الامام يقول المؤلف (ص ٧٤) : « لقد كان الامام علي نسرا محلقا في السحاب ، فتكالب عليه الخصوم المقصرون عن شأوه » . وفي بحث كيف حورب الامام (ص ١١٠) يقول : « اعجب لرجل يخافه الخصوم بعد موته كما كانوا يخافونه وهو حي » .

والثالث : في تحليل اسباب عظمته الروحية والفكرية ، حيث جال المؤلف جولات دقيقة في الحديث عن الرسول والامام ، وعن يوم الغدير ، وعن فلسفة الدين في رأيه ، وعن همته التي كانت اكبر من الدنيا ، وفي الحديث عنه قائدا ملهما ، ومعلما مؤدبا ، ومبتكرا عظيما ، ومفكرا سبق عصره ، وعدوا للسفاهة . كما تكلم عن الشيعة ومتى ظهرت كمذهب ديني وسياسي ، وعن موقف الامام من الخوارج، وانتقل الى الكلام على اسرته ، وعلى بعض المثل له في الزهد ، اخذه من حياة الامام الخشنة يوم مني ببنت رسول الله صلوات الله عليه ، وعلى خدمته للاقتصاد العربي يوم أمر بسك الدراهم والدنانير الاسلامية ، وعلى رأيه في اصناف المتعبدين .

والرابع : في تحليل جوانب عظمة الامام الانسانية حيث رسم فيه صورا صادقة للامام كرم الله وجهه ، مجددا عبقريا ، وانسانا فذا، وعدوا للجمود وللتعصب ، وسوابق له لحقوق الانسان . وتحدث عن فهم امير المؤمنين عليه السلام لواجبات الامام والرعية ، وعما طبع عليه من دعابة تدل على سماحة نفسه وكرم صدره . وما اروع ما يقول المؤلف في هذا الباب (ص ١٩٤ ــ ١٩٧) : « ابو الحسن اول من قال ان اعظم الخيانة خيانة الامة ، وابو الحسن اول من قال ان الولاة هم خدام للرعية وليست الرعية اقطاعا لهم ... لقد عاش حياته

من أجل الشعب، واغتاله البائسون وهو يفكر فيما يسعد الشعب..»

والخامس: في تسجيل جوانب من فكر الامام الحكيم، وآرائه التي لا تموت، وعلومه التي استنبطها، ومن شعره، والحديث عن شاعريته، ومن أثره في مثقفي العرب. وبذلك ينتهي الكتاب.

وما اروع ما يقول المؤلف بين يدي الكتاب (ص ١٩): «احببت الامام – كرم الله وجهه – من اليوم الذي قرأت فيه سيرته الخصبة، وحياته النبيلة، وقد كنت أحس بأن انقسام الناس فيه دليل على العظمة.»

ويقول في كلمته «بين يدي الامام» ص ٢٠:

تحية خالدة ابا الحسن، تحية ايها الرجل العظيم، تحية لبطولتك، تحية لانسانيتك، تحية لبلاغتك، تحية لتسامحك، تحية لصبرك، تحية لحكمتك، تحية لصراحتك، تحية لعدلك. تحية خالدة لهذه المزايا التي اجتمعت في شخصيتك الفذة..».. «فأنت انسان تعذب في سبيل مثله الاعلى، ومن حقه على كل مفكر ان يسجل ما في حياتك الخصبة من اسرار العظمة».

ويقول في كلمته في ختام الكتاب ص ٢٢٧:

«ابا الحسن، ايها الامام العظيم، هذه انطباعات كانت تجول في خاطري نحوك من زمن بعيد، حاولت ان اصور فيها نفسك الكبيرة، شجاعتك وعلمك، سخاءك وجودك».. «كتبت ما أشعر انه حق، واعتمدت على المراجع التي وثقت بها، ولا اقول اني اطلعت على ما كتب عنك لانه شيء كثير وكثير.. سيقول بعض الذين ما تعودوا الصدق والاخلاص المجردين: ان العزيزي متحمس للامام كأنه من الشيعة، والحق اني لست شيعيا، ولست مسلما، بل أنا عربي نصراني كاثوليكي، والعظيم كل عظيم ليس ملكا لفرقة ولا لدين او مذهب، وانا كما قال البحتري:

وأراني من بعد أكلف بالاشراف طرا من كل سنخ وأس

لقد رسم العزيزي في هذا الكتاب أروع واصدق واوضح صورة للامام، ولشخصيته الفذة المؤثرة في تاريخ الاسلام وحياة المسلمين، ورجع الى نفسه والى مصادر التاريخ، والى كل مثل حي، وفكر نبيل يساعده على الدراسة والتحليل، في اسلوب يتسم بالقوة ومسايرة احداث التاريخ، واستنباط غوامضه، وتوضيح دقائقه، وحاول محاولة ناجحة ان يستقصي مفاتيح عظمة الامام من كل جانب من جوانب حياته الروحية والفكرية والسياسية.

واعتقد ان ما كتبه العزيزي في هذا الكتاب سيظل خالدا ابدا، يقرأ ويتلى في كل جيل باعجاب وتقدير.

والكتاب مصدر بكلمة للسيد جواد شبر امين سر لجنة المسابقة، وفي هذه الكلمة يقول فيما يقول (ص ٥): «هذا الكتاب من أنفس الكتب وامتعها، جمع فأوعى، وحلل نفسية الامام فأجاد التحليل، ووقف على فرائد درر الامام وكلماته القصار، فاختار اضواها وانورها». ويقول: «العزيزي له شهرته الواسعة الاطراف، المعمورة النواحي بالاجلال والاكبار في العالم العربي، وهذه بحوثه ومؤلفاته تزدان بها الصحف والمجلات، وهي – ولم تزل تصابحنا وتماسينا – يرشفها الرأي العام والفكر العالمي، وتتذوقها الطبقات المتأدبة».

واذا كان الكتاب لم يسلم في هذه الطبعة من الاخطاء المطبعية الفادحة، فانه لا بد ان تتوالى طبعاته ليكون في كل يد، وفي متناول القارئين وشباب المثقفين في كل مكان، واعتقد انه يجب ان يحاط بالعناية والاهتمام من كل المفكرين، فموضوعه اولا، وشخصية مؤلفه ثانيا، وما اودع فيه المؤلف من خلاصة افكاره الانسانية ثالثا، واسلوبه الذي يتسم بالجمال والجلال اخيرا، كل ذلك قد أضفى على الكتاب متعة وروعة وتأثيرا، مما افتقدناه في الكثير من المؤلفات، ولا املك الا ان اهنىء المؤلف واللجنة التي احسنت الاختيار، والفكر العربي الذي كسب بهذا الكتاب خيرا كثيرا.

القاهرة **محمد عبد المنعم خفاجي**



ظهر حديثا

● نساء وافاعي – مسرحية شعرية في ثلاثة فصول – تأليف وديع ديب – ١٤٤ صفحة – منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة).

● العلقة الحمراء – قصة – تأليف البارونة اوركزي – ترجمة ميشال أبي صعب – ٢٧٦ صفحة – منشورات دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) ببيروت – المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

● صوت من الحياة – مجموعة شعرية – حازم سعيد – تصديق الدكتور بدوي طبانة – ١٨٢ صفحة – حجم كبير – الكتاب ٣ في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث – منشورات مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والاعلام – مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ببغداد.

● في الادب العربي الحديث: بحوث ومقالات – تأليف يوسف عز الدين – ٣٦٠ صفحة – حجم كبير – ساعدت جامعة بغداد على نشره – مطبعة البصري ببغداد.

● نجمان يهويان – مجموعة قصص – تأليف مصطفى الخش – ١٤٤ صفحة – منشورات دار الثقافة بدمشق – (لم يذكر اسم المطبعة).

● ذكرياتي عن وادي الفرات عام ١٩١٦ – تأليف المهندس الزراعي احمد وصفي زكريا – تحقيق وتقديم المحامي عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات – ٥٦ صفحة – حجم كبير – الكتاب رقم ١ في سلسلة وثائق تاريخية عن وادي الفرات – طبع في دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة).

● فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٨ / ١٩٦٨ – تأليف محمد حسين الصغير – تقديم الدكتور عناد غزوان اسماعيل – ٣٨٤ صفحة – حجم كبير – الكتاب رقم ١ في سلسلة القضايا العربية في الشعر النجفي المعاصر – ساعدت كلية اصول الدين ببغداد على نشره – مطابع دار العلم للملايين ببيروت.

● من سعير الهجر – مجموعة شعرية – شفيق القيماقجي – الغلاف من تصميم غازي – ١٤٤ صفحة – مطبعة شفيق ببغداد.

● امين الريحاني – تأليف عيسى ميخائيل سابا – ١٢٤ صفحة – الكتاب رقم ٣٩ في سلسلة نوابغ الفكر العربي – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بالقاهرة.

● الريحانيات – تأليف امين الريحاني – طبعة جديدة – الجزء الاول ٣٥٢ صفحة – الجزء الثاني ٢٩٦ صفحة – منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت – مطابع دار الريحاني ببيروت.

● مكتبة المثنى – لصاحبها قاسم محمد رجب – الفهرست التاسع ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م – ٦٦٦ صفحة – مطبعة الارشاد ببغداد.

● القرن الثامن عشر – تأليف رولان موسنييه وارنست لابروس بالاشتراك مع مارك بولوازو – باشراف موريس كروزيه مفتش المعارف العام بفرنسا – ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر – المجلد الخامس من موسوعة «تاريخ الحضارات العام» – ٦٧٨ صفحة مع صور وخرائط ووثائق – حجم موسوعي – منشورات عويدات ببيروت – مطابع منشورات عويدات ببيروت.

● الفصول – مجموعة شعرية – سالم الخباز – ١١٢ صفحة – ساعدت نقابة المعلمين على نشره – مطابع الجمهورية بالموصل العراق.